

فلوري عبـد الملك

الشاعرة فلوري عبد الملك

بقلم نقـولا يوسف

* * *

لم تزل حديقة الشعر زاهرة على شاطىء الاسكندرية منذ ثلاثة وعشرين قرنا تنبت مـن حقبة لاخرى الوان القصيد والازجال والاناشيد .. وتتعهدها جيل بعـد جيل مـن الشعراء والشاعرات (١) . فاذا عبرت سريعـا اغوار الزمـان ، منـذ عهـد مدرسـة الشـعر السـكندرية « الهيلينستية » وشعراء « الابجرامة » (٢) فـي القـرن الرابع قبل الميلاد ، وادركت شروق العصر العربي منـذ القرن السابع الميلادي ، شهدت باقات مـن غرس شعراء العربية في مختلف العصور والالوان والعطور ، معبـرة تارة عن التصوف والزهد والايمان ، وتارة عن الدنيويات وصور الطبيعة والوجدان.. بينما تلمع بين الحين والحين وسط شوامخ الشعراء ، زهرة « شاعرة » ولدت علـى هذا الشاطىء او نقلت اليه نبتتها من قطر عربي شقيق ، لتنمو في ترابه الزعفراني ، وتترعرع فـي جوه البحري ، وتنشر حولها شعرا فيه من نسمات البحر وصخب الموج، وفيه من خواص ذلك المكان الحي المتجدد .. المتقلب .. الساحر ، البوتقة التـي انصهرت فيهـا الحضارات والثقافات والسلالات ..

وها هنا شبت الشاعرة تقية الصوريـة (١١١١ ـ ١١٧٣م) والمولودة في دمشق ، ووردة اليازجي (١٨٣٨ ـ ١٩٢٤) صاحبـة « حديقـة الـورد » والقادمة مـن لبنان ، ومنيرة توفيق (١٨٩٣ ـ ١٩٦٥) ناظمة ديـوان « انوار منيرة » والمولودة في بـور سعيد ، وجان ارقش (١٩٠٢ ـ ١٩٦١) ، ونيلي زنانيري ، وسيلين اكسيلوس ـ وثلاثتهن من أصل لبناني نظمن الشعر في الفرنسية ـ ثم الجيل الجديد من شاعرات الشباب تتقدمهن اليـوم فلوري عبد الملك ، وعزيزة كانـو .. وغيـر هؤلاء من العربيات .. وغيرهن مـن الشاعـرات السكندريات الاوربيات .. والراحـلات والقادمـات .. والمقلدات والمجددات .

وهذا الحديـث مقصور على احدثهن ـ الشـاعرة الوجدانية المعاصرة فلوري عبد الملـك صاحبة ديوان : « روح هائمة » (٣) ـ والتـي عرفتها محافل الاسكندرية وخارجها في السنوات العشر الماضية ، واطلـع الكثيرون على شعرها في الصحف ، او استمعوا اليه في الاذاعة ، وشهدتها الجموع الحاشدة وهـي تلقـي قصائدها فـي المنتديات الادبية ، ومهرجانات الشعر العربي في البلدان العربية ..

ومن نبعين ثريين فائقين ـ احدهما خاص محدود ، والآخر عام لا محدود ـ كانت شاعرتنا تستمـد ملهماتها والوان صورها ومثارات وجدانهـا .. وان كانت صورا معبرة عن ذاتيتها ، وممثلـة لشخصيتها فـي صدق وصراحة ..

كان الاول : عالمها الخاص .. دنياها المسورة .. حياتها البيتية .. الحيز المحدود الـذي احتواها طفلة وصبية ثم زوجة وأم ، حصن الانثـى الآمنـة الوادعة ، تحميها جدرانه من أنواء الحياة العاتية ، وعنـاء الكدح وملاطمه .. وفي هذا الجو الربيعي الصافي الذي لـم يخل ـ سنة الحياة ـ مـن بعض الغيوم السوداء ، كانت شاعرتنا تأنس الى ازهار حديقتها ، وذخائـر مكتبتها ، والى معزفها ولوحاتها .. وينطلق خيالهـا وراء الجدار الى دنيا الناس .. وتنشد « حلم الغد » الحلم بالفن الذي به تحقق ذاتها ، وتسمو بحياتها وحياة من حولها . الفن الذي يجمل الوجود ويخفف من مشاق الحياة ..

حلمي هـو الآتي البعيد موافيا   عبـر السنين بأجمل الانغـام
يشدو.. واحيا استقي من شدوه   دفئا يشع رضا بقلبي النامـى
نبضاته اللهفـى تصفق عندمـا   يجتاحني شوقي الـى احلامى !

وهذه الاحلام التي تطمح الى تحقيقها وتقدمها الـى العـالـم :

---

(١) تحدثنا في اجمال عن عدد مـن شعراء الاسكندرية وشاعراتها من شتى عصورها في كتاب « اعلام من الاسكندرية» ـ نوفمبر ١٩٦٩ ـ (٢) الابجرامة شعر المقطوعات القصيرة الوجدانية والقصصية والرثائية ـ الذي ساد شعراء الاسكندرية في عصرها الهيلينستي . (٣) ديـوان « روح هائمة » لفلوري عبد الملك ـ صدر عن دار المعارف بالاسكندرية في نوفمبر ١٩٦٩ ـ ويشتمل على سبعين قصيدة : ـ (خواطر ، ومن وحي الاسرة ،ومن وحي الطبيعة ، ومن وحي المنصورة ، ومـن وحي

هي في كتاب ضم اشعارا بهــا   خفقات عمري وانطلاق هيامــي
هي فــي رسوم ابدعتها ريشتي   جاشت بها اصداء روحي الظامي
هي شدو اوتار يداعب مسمعــي   ويذيلني افــق الخيـال السامي
أمــل يداعب يقظتي ومنامــي   هل يا ترى تسخو بــه أيامى ؟!

لقد ولدت الشاعر فلوري عبد الملك بمدينة المنصورة على شاطىء النيل شمالي الدلتا بالاقليـم المصري ، بلــدة حسناء طالما الهمت عددا من ابنائها الادباء (٤) .. وهناك امضت طفولتها وشطرا من صباها بــين اسرة شرقيــة ميسورة تتوارث تقاليدها الخلقية وعاداتها النقية - كان والدها طبيبا فاضلا تستهويه الفنون والمطالعات ، وسمى ابنته : « فلوري » من صفات الزهر ونضرته ، كما كانت امها تمارس الموسيقى في بيتها - فحببا الى طفلتهما الفن والقراءة .. وما بلغت الرابعة عشرة حتــى كانت تعالج الشعر وتنظم الزجل .. أما مسقط راسها « المنصورة » فقد ترك في نفسها انطباعات جمالية لم تنسها . ورأينــا في ديوانها بابا سمته : « من وحي المنصورة » - تخيرت فيه اربع اغنيات من ارق شعر الوصف والحنين ، جعلت لها هذه العناوين : « في الطريق للمنصورة » و « حديث النهر » و « بيتنا المهجور فــي المنصورة » و « للمنصورة جمال ومجد » : (٥)

لي ذكريات عشتها بين الضلوع طويتها
عبـر السنين .. وصنتها
لي فيك من عهد الصبا - احلام !
أشتاق لو احيا السنين ، بظلال مرتعك الامين
والنهر يطفر بالحنـين
ويفيض من همساته الانعام ..

واذا ما زارت مسقط الرأس بعــد طوال الاعوام ، ومرت ببيتها المهجور ، هاجتها الذكريات :

اهفو له في غيبتي حتى اعود بلهفتي
القاه نــاح باتــة
وتعيش في حجراته الاوهام !!

ولم تلبث الصبية أن ودعت بلدتها لتطوف مع أبيها الطبيب المتنقل بين شمالي مصر وجنوبيها .. وفي احدى مدن الصعيد يلحقها بمدرسة للراهبات تتلقى بهــا خلال ثلاث سنوات مبادىء العربية والفرنسية ، وتتعرف الــى آدابهما .. ولما ان انتقل الى بلدة اخرى ، رأى ان يوفــر على ابنته تبدل المدارس فادخلها بالقسم الداخلي بكليــة للبنات في القاهرة حيث اتمت دراستها الثانوية وحازت « الشهادة التوجيهية » متفوقة دائما في فرقها المدرسية .. وشاءت ان تواصل دراستها فــي الجامعــة ، وشاء والدها أن تستزيد في البيت مــن ثقافتها الفنية التي تحبها ، ومن الشؤون المنزلية التي تؤهل الفتاة للحياة الزوجية الراضية .. وقبعت فــي بيتها تتمرس بالشعر والموسيقى والتصوير الــى جانب « التدبير المنزلي » ، وتحلم باستكمال تعليمها الجامعي - الحلم الذي حققته منذ عهد قريب - وظل طيرنا الجميل بضع سنوات يتغنى في قفصه الذهبــي بالالحان ويتغذى بالاحلام قبــل ان ينطلق من وراء الجدار الى الفضاء الرحيب :

وحين يرف عبيــر الامانى
يحلق بي ويشق الفضاء
أهم ، كطير الربا ، من مكانى
فتصدمني شامخات البناء
وتدمى الجراح
فاطوي الجناح
وتجفل روحي وراء الجدار !.
وحين يشقشق فجر الامل
ويرتشف الليل في لحظة
ويغمر قلبـي الرجـاء الثمل
فيشدو ويرقص من نشوتى
يحد انطلاقى
فيغدو انسحاقى

انينا ، وشعرا وراء الجدار ! (٦)

وتبدأ صفحة جديدة مــن حياة شاعرتنا البيتيــة ، وترى فيها صورا جديدة تثيــر شاعريتها ، حين تتزوج عام ١٩٥٠ من ابن عمهــا الطبيب الاديب دكتور شكري عبد الملك ، وحين تنجب ولدين وبنتين ، ويستأثر الاطفال برعايتها وعنايتها .. ويبدون لهــا قصائد حية تحــرك وجدانها ، وتلهمها حياتهم الملائكية شعرا عذبا - شعــر الامومة العطوف الرؤوم - و « من وحي الاسرة » الشطر الساطع الملهب بديوانها نقع على سبع ترانيم انشدتها فــي اطفالها ، تحمل هذه العناوين : « ينام كالملاك » .. « طفلي المريض » .. « ماما » .. « يا صغيري » .. « كــلام الصغير الحبيب » .. « في العالم البرىء » .. « فــي الطريق - الى الغد » :

وحين تقول لـي « ماما »   اكــاد اضـم دنياكــا
لاحضانــي .. لآمالــي   لقلب بــات يهواكــا
وتبـدو لــي كقيثـار   يترجـم حلــو معناكا
وحين تقص لــي امـرا   تفشــاك فابكاكــا
واضحى الشدو والنجوى   شجي يكســو محياكا
رويت حديثـك الباكـي   علــى انغـام شكواكا
فلم افهـم سوى حدسـي   بما ترويه عيناكا !! (٧)

والحق لم يستأثر اطفالها بقلبها كلــه ، فقد كان لشريك حياتها حظا وافرا من ترانيم هذا القلب السخي : « رفيق رحلتي » .. « انيس الحياة » .. « اتذكر » .. « في ضوء القمر » :

يا للحياة كم تجود وتفي
وانت قربي يا رفيق رحلتي !

وأمها - « الى امي الحبيبة » .. « شكرا يا أماه » :

وقد نضجت حياتي غير انى

حواء ، ومن وحي الظروف الوطنية) - (٤) مــن مواليــد المنصورة الشعراء : علي محمود طه ، ومحمد عبد الغني حسن ، وعبد الرحمن صدقي ، ومن الشاعرات : جميلة العلايلي ، وفلوري عبد الملك . وممن نشاوا بها : صالح جودت ، ومحمــد الهمشري ، وكامــل الشناوي وغيرهم .. (٥) ص ١٢٧ - ١٣٩ ديوان « روح هائمــة » - (٦) وراء الجدار ص ١٩ - ٢١ - (٧) « كــلام الصغير الحبيب » ص ٦٥ - (٨)

على عهدي صغيرتك الوددوه
أتوق الى سماع حديث أمي
ترف عليه احلامي السعيده

ووالدها ـ « طال رحيلك يا أبي » .. « أحن اليك » .. « الذكرى الثالثة لوالدي الحبيب » :

واغوص في الذكرى واطياف الرؤى
صحبت حياتي منذ اول خطوة
حين انتشينا بالحنان وعطفه
ومذاق حلو العيش وقت طفولتي .

وشقيقها الطبيب الذي نعي اليها في شرخ الشباب ـ ها هي تناجيه ، مؤمنة بخلود الروح :

من صرت ـ يا من كنت لي روحا شقيق
ارجو بقاه ؟
فمضى .. وغابت بسمة الوجه الشفيق
وخبا ضياه ..
لا تسأليني من أنا ـ سري العميق
عمري طواه
اختاه لو ادركت ما الخلد العريق
او ما مداه
شتان ما بين الدجى ارض الرقيق
وسما الاله ! (٨)

حتى اذا مـــا شب اطفالها ، ودخلـوا المدارس ، واحست شاعرتنا بفسحة من الوقت وشيء من الراحة ، حملت حقيبة كتبها ، والتحقت عام ١٩٦٥ طالبة بكليـة الآداب ـ قسم الفلسفة بجامعة الاسكندرية ـ قالت « ان الفلسفة موسيقى العقل ، كما ان الشعر موسيقى الروح ، والالوان موسيقى العين ! » وامضت اربع سنوات تحضر المحاضرات ، وتستذكر المؤلفات ، وتدخل الامتحانات ، حتى فازت باجازة « ليسانس » الفلسفة والاجتماع فـي يونيه ١٩٦٦ ـ وشرعت تعـــد رسالــــة فلسفية لاجازة « الماجستير » وما يليها ..

وهي في انطلاقها من برجها العاجي الى العالم الاكبر ، راحت تنشد قصائدها امام الجماهير الحاشدة في محافل الادب ومهرجانات الشعر المنعقدة فـي شتى البلدان . واستمع الناس الى قصيدتها « نداء السلام » في مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية عام ١٩٦٣ والى امنيتهـــا القومية : « غدا نلتقي » في مهرجان الشعر السابع بغزة في مارس ١٩٦٦ وفي اجتماع ادباء « المنصورة » في العام نفسه .. والى منظومتها : « مشاعر قلب فـــي الربيع الحزين » بمهرجان الشعر الثامن بالقاهرة (مارس ١٩٦٨) .. كما شاركت بقصيدتها : « من أجل فلسطين » فـــي الكتاب الــذي اصدره شعراء الاسكندرية بعنـوان : « فلسطين عربية » عام ١٩٦٥ .. وفـــي مجموعتهم : « ديوان الاسكندرية » عـــام ١٩٦٦ .. واخـذت تنشر شعرها في الصحف والمجلات العربيـة .. ثـم جمعت سبعين قصيدة مختارة من شعرها ، وطبعتها في خريف ١٩٦٩ مزينة برسوم من ريشتها ، فـي ديوانها : « روح هائمة » هي روحها الطيبة الثائرة وقد طفقت تهيم فـــي فضاء الله تذرعه !.

وهي ايضا تتخطى حدود بلادها ، وتهيم في اقطار الارض ، مستطلعة ازمـات الشـعوب ، وتخبطهـا بـين الكمالات والنقائص ، وتطوف ببلـــدان لبنان واليونـان وقبرص وفرنسا والمانيا وايطاليا .. وغيرها .. الـــى جانب جولاتها في المدن والقرى المصرية مـــن غزة الى اسوان ..

وانها في خروجها من قفصها الذهبي ، اشبه بالطير الاليف ساعة ينطلق من حيزه الضيق الى رحابة الفضاء ، فيواجه غرائز الغاب ، ومصارعة الخيـــر والشر فتتملكه الحيرة والقلق :

تهامس بالعش طير ولوع
وطير شدا .
وبين ضلوعي أضيئت شموع
لحب بـدا
وطاف بأفقي نداء ودمع
وذاب الصدى
تراني أتوه وحولي الجموع
واقفي سدى !!

وتتحول الهمسات الى صرخات ثائرة تتناوح مـــع الرياح بين اليأس والامل :

اود لو بكيت من حدة الطعان
اود لو ضحكت لهمسة الحنان
فدمعي وضحكي ارادة الزمان
اود لو سخرت من قسوة الحياة
اود لو زهدت ولـذت بالصلاة
سخريتي ونسكي تراهمـا النجاة ؟
اود لو اعيش طليقة الجناح
اود لو امـوت ثخينة الجراح
فعيشتي كموتي في قبضة الريـاح ! !

لقد بارحت حواء عشها الدافىء طواعية ولم تغلق اذنيها عن ندائه ، ولم تحمل في جعبتها غيـــر مثالياتها واحلامها وفنونها .. فاحتوتهـــا خارجــة العاصفة ، والدوامة خرجت لتصطدم بالعالـــم المتموج المضطرب ، عالم عصرها الحديث ، بخصائصه ورواسبه ، وصراعاتـه ومآسيه .. ووسط التيار المتحرك الجارف يتراءى لهـا سراب عشها من بعيد :

فتركت عشي والهمـوم تذيبني ... وحملت جرح النفس فـــي اذلال
عودي الـى عشي الحبيب ورددي ... اتى أقاسي مــن أسى ترحالي
وادور فـــي دوامـة مــن حيرتي ... ويتوه فكري مــن جوى البلبال !

« ويحي انا حواء !! » ـ حتى العودة تأباها عليهـا الريح .. لقد خلقت للجهاد والتضحية والمقاساة . ولات مناص من قبضة عصرها الاهوج فهو يدور بهـا ويدفعها معـه :

وانا اجاهد كـي اعـود لشاطئي ... والريح تأبـى عودتي لربوعي !

من وحي الاسرة عشرون قصيدة (٩) ثورة نفس ص ٦ (١٠) مـــن وحي الظروف الوطنية ص ١٧١ ـ ١٩٥ .

ولي شراعي عبر لـج احمـق ... ليصارع التيار دون رجـوع
ويحي ! خلقت لكي اقاسي محنة ... يشقى بها لـو قسمت لجموع !!

ولا تملك شاعرتنا غير « صيحة » ترسلها : « الى كل من يمتلك القدرة على تخفيف آلام البشرية . . » :

لنكن عادلين ـ ننصف الثائرين .. من اذى الجائرين
يا رجال الدنا الغافلين ! ..
فنشيع الرجاء ـ شق قلب الفضاء ـ رافعا للسماء
صرخة ... من مهاوي الشقاء !
وهناك الانين ـ وجراح السنين ـ بشر متعبون
لا رفيق لهم في الشجون !!.

وترسل حواء ، الام ، الشاعرة ، همسا حائرا واملا شريدا لاخوتها الناس :

همس السلام : تفاهموا بالحب يا رسل الوفود
يا قادة الاوطان رفقا بالشعوب .. وما تريد !
اني اطالبكم بالا تشعلوا عودا بعود ..
لا تتركوا الشرر الاكول يفر من راي عنيد
ليشتت الشمل الاليف ويقتل النغم السعيد
ودعوا الرضيع لامه يحظى بما يحظى الوليد
لا تحرموه حضنها .. والدفء .. والامل الوحيد !

وفي عيد الميلاد ، عيـد السلام والمحبة ، تسمع اجراس السلام « ترنمت والكون يبدو نائما ، والجو لاح هائما .. سمعتها كانها من السما .. » :

ما اجمل السلام يطفو مزهرا
والحب قد عم الورى
والامن بيننا سرى ..
ترى يسود السلم ارضنا .. ترى ؟؟

وتدور الايام ويعود الربيع الى « دنيا تشكلها النوايا الغادرة ، وتقودها روح البغاة السافرة .. » « واشتد اعداء الحياة وقدموا قلب السلام الى السيوف الباترة » :

وعدالـة مطرودة عـن عرشها ... مصلوبة بيـد الحقـود السادرة
لو كان عالمنا اصاخ الـى الهدى ... والحب روى الانفس المتناحـرة
ما تاه صوت الحق عن افق الورى ... بل رف خفاقا يهـز منابـره !

وهذي فلسطين الشهيدة :

عاش المسيح بها واسرى احمـد ... وحنت اهلتها علـى الصلبان
واصاخ واديهـا وشم جبالهـا ... لهداية الانجيـل والقـرآن
ونواضر الزيتون فـوق هضابها ... رمز السلام .. بمهبط الاديـان
عصفت بهـا سود الرياح فسممت ... اجواءهـا بالشـر والادران

لقد قتلوا السلام فـي ارض السلام .. وفرضوا الحدود ، وفرقوا شمل الحمى ، ولجأ الاهلون الى القفار .. ولكن « وغدا يبوء البغي بالخذلان » ..

وهي في مهرجان الشعر فـي غزة (مارس ١٩٦٦) تروي قصة أم تاه منها ابنها في هول النكبة سنة ١٩٤٨ فاحتجزته الحدود المزعومة ، وتوجه كلمتها « الى الضمير العالمي الذي اغمض عينيه عن وطن يستباح ، واسر يتفرق افرادها في دروب الضياع » ـ ومما تقـول الام فـي قصتها الدامية : ـ (١٠)

في زحمة الحشد الحزين فقدته ... والليل جهم .. والدروب خفايا
وتدافعت تجري الفلول جزوعة ... لم يبق في عرض الطريق سوايا
ارنو ولهفة خاطري قـد مثلت ... شبحـا لطفـل ناشد لقيايا
مضت السنون البائسات ثقيلـة ... والحزن يـذوي نضرتـي وقوايـا
او تنتفي تلـك الشراذم بالحمى ... وطنـا دعائمـه دم وضحايا ؟
وتقطع البلـد الابـي وشمالـه ... مزقا تذريها الريـاح .. بقايا
وعلى الحدود فـؤاد أم ضارع ... ووراءها ابـن يستدر اسايـا

ثم يلوح الامل باسما ويبشر الام بقرب العودة للبيت الحبيب :

ويعود من خلف الغيوب وشجوها ... ولـدي لحضن امومتي وهدايـا
ويظلل السلـم الحنون ديارنـا ... وهناك اشدو فـي ربوع صبايا

فنحن هنا نحتفي بمولد شاعرة عربية موهوبـة .. كانت ولادتها الادبية في سجل الشعر خلال الستينيات ، وفيها ترعرعت وتفتحت اكمامها ، وان كانت قد ولدت من قبل وقيثارتها معها ...

ولم تزل الشاعرة « فلوري عبد الملك » فـي ربيع حياتها ، ونضرة شبابها ، لم تتخط بعد المنتصف من رحلة العمر ، والطريق امامها ممتد الـى المستقبل .. والى متاهات العصر الحديث .. ومجاهل التجاريب .. وكانت قفزتها الاولى في الستينيات السالفة ، وبداءت الثانية مع مطلع السبعينيات . وما برح الطائر الاليف محلقا فـوق ارض المتاعب بجناحين من الحلم والمثل دون ان يغلق باب عشه وراءه ..

وما كان المستمع الى هذه الترانيم الرقيقة ليجهل انها صادرة عن قلب انثوي يكتنز طبيعـة حواء ولطف مشاعرها . بها حنان الامومـة ، والحدب علـى الاسرة والطفولة ، وحب الجمال في مختلف صوره الحية والثابتة .. وكراهية العنف والحرب والعدوان ، والاشادة بالسلم والاخاء وحقوق الانسان ، والعطف على المتالم والمريض من انسان وحيوان .. والتمسك بالاخلاقيات والمثـل والايمان .

وفي اسلوبها الشعري لا تشذ عن طبيعة الانثى في رقتها ودقتها فجاء سائغ المعنى سائغ العبارة ، لا يحاكي الرجل في عصفه وجلجلته .. وهو لا يرتبط باهل القديم او اهل الحديث . وان كان قد ارضى هؤلاء واولئك .. لا تكلف ها هنا ولا تزييف ، ولا تعقيـد ولا ابهـام ، ولا شطحات في الغموض والاوهام ..

كذلك ارضت جل القلوب فلسفتها المبشرة بالامـل فهي ايضا مليئة بصور الجمال المعنوية والمادية.. وليست هي للمستمعين الخاملين بل للعاملين المكافحين ، ولاهل الخلق القوي والقلب النقـي الصابرين المؤمنين بعدالـة السماء .. الخالدين بعد فناء الجسد في دنيا البقاء :

كـم تعجبت لقوم ... هزهـم زيف الفناء
فـي حياة خادعتهم ... ببريـق وريـاء
حين ظنوا انهم قـد ... فلسفوها فـي ذكاء
يطلقون النفس سكرى ... ترتـوي كيف تشاء
قلت مهلا يا رفاقي ... ان مسعاكم هـراء
مـا حياة الارض الا ... رحلة تطوي الهباء
ثم ترسو بعد جهد ... عند ميناء البقاء ..

الاسكندرية ... **نقولا يوسف**

سـجون الوجـود

ثـريـا ملحـس

الارض التي نمشي عليها
أصبحت عارية
بات العري لا يخجلنا
مثل الكلمة الصافية
لو الحرف فيها سيف او مطرقة
لو تقفز العين من الحجاج
او زلزلت الارض أو مادت بنا
أصبحت الارض عارية
الزهر .. كانت أمي به تعنى
تيبست عروقه ضنى
الكرم كنت انفل فيه رؤى
صار أصفر ..
كل حبة منه جلد زمه الجفاف
كل شيء في دربنا جفاف
كل شيء في دربنا يباب
امي كلامها حلو الكلام
في قبر أمي
الصوت حنون في الرخام
على قبرها أعمدة قلصها الزمان
ضحكنا من يد النحات
من يد الفنان الذي يصنع
لـم يخلد الفكر ..
لا الحجر .. لا الصخر .. لا الفرقد
ما يصنع ؟ لمن يرفع ؟
يصنع ، يرسم ، ينحت ، يتحدى الزمان
يهرب من السجون الرهيبة
الى انعدام الوجود
يبحث عن رؤى
أعظم ما في الوجود الفكر
وفـوق الفكـر
حيث لا مكان ولا زمن
أعظم ما في الوجود الخلود
ثـم يعـود
تعود الانامل للدود
تنهشها ، تمصها حتى الفناء
تلافيف العقل والحس والرؤى
كلها تنحل ، كأنها بنت الرؤى
الحلم كبير .. صغير



ما مس الفنا وجه أمي
أسرع .. أصرخ .. لقيتها ، لقيتها
تشدني ، أشدها
أسالها ، لا تجيب
صوتها يلتوي صمتا
خارج السجون
في قسمات وجهها الشحوب
ضاعت معاني الحياة
عينها كبيرة .. كانت بالامس صغيرة
ليتني المدى
انمد الى اعماق الارض
خارج الارض
أتلوى في أعماق الفضا
خارج الفضاء
ثم اعود كما كنت في عمر الصبا
عشرين .. عشرين الى الورا
كل عام يدفنه عام
بلا لون ، ولا نكهة للحياة
كانت أمي في الحديقة
تحب النمل والنحل واشجارا عتيقة
تحبها .. كم مرة سالتها :
لم هذه الاشجار العتيقة
هذا الوجه كأنه التاريخ ؟
تسد لنا الدرب من هنا
تسد لنا مجرى المياه والهوا
« هي الارض نحبها
هي حبة العنب بيتنا
نعشب ارضنا من وحوش الفلا
على ارضنا نسجد
نعفر الجباه نرقد
ذرة التراب ضننا بها
حتى الهلاك
ندافع عنها ، نبعد حتى الموات
غدا ، يدوس الخير من أرضنا
متوحش القدمين »
ما فهمت في ذلك الزمان
وبعد عشرين عاما
أعود الى الحديقة
راكعة ، اتقرى الشجر
فأعلو وأعلو معها حتى القمر
أتسلق عليها ، أفهمها
رائحة العطر فيها ما اندثر
رائحة التراب .. وراء عروق الدوالي
كهوف النمال .. عشيرتي .. أهلي
بـاب داري
ودعت أمي من باب داري
من سجن الى سجن
كل ما في الارض
من بقايا الارض للارض
كانت هنا ، تنكش الزرع
هناك كانت تقطف الورود
والياسمين والبيلسان والمسك
بيضاء مثل صنين
تسقط ندفا ندفا
كل شيء يسقط ندفا
كأنه الامس الذي ولى
قـام يسعى
صوت أمي الحنون
وصوتي كذات البو في الصحارى
لا أرى شيئا ، لا أحس
في رهبة اللقيا مع الخالق الاعلى
مع الشيء واللاشيء
أرى في يدي ، أسمع بالاخرى
بارد قبرها ، بارد وجهها
كقطعة ثلج بلا عروق
دفء الدم غريب
إن وقف القلب
عـاد الدم ثلجا
عـاد الدم الاخضر أبيض
والجسم عاد ترابا أربد
الثلج والتراب
يعود الصانع والنحات الى يباب
يعود الى جفاف
دربنـا جفاف
دربنـا يباب
دربنـا الارض هذي
غدا دربنا فوق الفضاء
حيث لا زمان ولا مكان

ثريـا ملحس



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

الاخـلاق الفاضلة :

ان فيما يحدثنا به التاريخ مواعظ ، لو اعتبرنا بها لتجنبنا الكثير من العثرات ولتخطينا الكثير من المزالق دون ان نقع بها . وهذا التاريخ ـ واعني تاريخنا العربي ـ يحدثنا بالاقوال المأثورة ، التي قالها الاعلام من اسلافنا الغابرين ، فكان لها عند من سمعوها بالغ الاثر .

وان من هذا الذي يتخذ شاهدا على ذلك ، ما كتبه « عمر بن الخطاب » لامير الجيش في القادسية « سعد بن ابي وقاص » ، حين طلب منه المدد . وكان مما قاله فيه : « وعليك بالنظر في سواد جندك ، فانكم اذا جانبتم تقوى الله ، ماثلتم بذلك عدوكم ، فكاثروكم بعددهم ، فغلبوكم .. » .

وحين نمعن النظر في مضمون هذا القول ، نجد فيه مفتاح السر الخطير ، الذي كان ينتصر به اسلافنا في اكثر المعارك التي خاضوها ، وفتحوا بها رقعة من الارض تزيد على رقعة وطنهم الذي خرجوا منه مرات ومرات ، وفي امد من الزمن غير طويل .

انها تقوى الله اذن .. وقد حددها النبي الكريم لاتباعه المسلمين بكلمات حين اراد ان يصف المسلم الكامل في سلوكه الذي يلازم به تقوى الله ، فقال : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » . اليس معناها ان تطهر قلبك ولسانك من الشر ، فلا تنال بهما احدا من الناس .. الناس جميعا وليس المسلمين وحدهم ؟ اليس معنى ذلك ـ وفي عرفنا الحديث ـ ان تكون صاحب اخلاق فاضلة ، تواجه الناس بما لا تؤذيهم به من القول ، وتبطن لهم في صدرك مثل ذلك ، حين لا تبيت لهم المكائد ، ولا تشارك في ايقاع المكروه بأحد منهم ؟ .

لقد أمد « عمر » قائده « سعدا » بكتائب من جنود الشام ، ولكنه علم علم اليقين ان هذا الجند الذي امده به لن يصنع شيئا ، اذا هو غفل عن تقوى الله ، تلك القوة الكامنة في النفوس ، والمدد الذي لا يهزم صاحبه ، ولا تكسر له شوكة ابدا .

وهذه الاخلاق الفاضلة التي عرفها اسلافنا على ذلك النحو ، اليست هي كل ما نفتقر اليه في عالمنا العربي الكبير ، وفي الحاضر الذي نعيشه اليوم ؟

نحن في امس الحاجة الى ان نحصن بها نفوسنا ، لتغسلها من الانانية القاتلة ، ومن الانتهازية البشعة ، ومن الوصولية الحمقاء ، ومن ايثار المصلحة الشخصية على مصلحة الامة والوطن .

نحن في حاجة ماسة الى مثل هذه الاخلاق ، لنسير في الطريق الذي سار به اسلافنا الى المجد ، وهم لا يعرفون الهزيمة ، ولا يضعون بين ايديهم الا احدى غايتين : النصر مع العزة والغلبة ، او الشهادة في سبيل الله .

وعند ذلك فقط .. سوف يكون كل نفر منا من مثل ذلك القائد العظيم خالد بن الوليد ، الذي قال وجنود العرب المسلمين تتقدم من نصر الى نصر في بلاد الشام : « انا لا اقاتل من أجل (عمر) ، وانما اجاهد في سبيل الله ... » وان كلمة « خالد » هذه لمن الاقوال المأثورة ، نجد فيها كما نجد في كل قول مأثور من مثلها في تاريخنا ، موضع العبرة في اوضح سماتها ، وما احوجنا اليوم الى مثل هذه العبرة لنعتبر بها ...

مخافة العثرات

كان يمسك القلم بيمناه ويطرح يده فوق صحيفة بسطها بين يديه ، وقد سجل فيها بضعة سطور ، وتوقف عند نهايتها ، وهو يسند رأسه الى ظهر يسراه ، وعيناه نصف مغمضتين تحدقان في اللامحدود ، وكأنهما تبحثان عن هدف بعيد ، لم تظهر معالمه ولم تبد آثاره .

وتوقعت ان يدرك ضالته المنشودة ، فيعود الى الكتابة يتمها ، ويستوفي غايتها ، او يطوي صحيفته

ويعود الى واقعه ، يتبين ما حوله ، ويصرف شؤونه فيه .

ولكنه لم يفعل ذلك ، ورأيته يجاوز حده في هـذا السكوت الحائر ، فاقتحمت عليه حجاب الصمت ، وانـا اتحدث بصوت هامس حتى لا ابدد بنات افكاره ، وقلت : « بماذا تعثرت يا ترى .. حتى اطلت الوقوف ؟ .. » .

فالتفت الي مبتسما وهو يقول : « انهـا كلمـات تزدحم على لساني ، ولست اعلم أين يكون فيها موضـع الصواب ، فهناك (الوظيفـة) و (المنصـب) ، وهنـاك (الاخصائي) بفتح الصاد وتشديدهـا ، و (المتخصص)، وهناك (الاكفاء) بتشديد الفاء ، و (الاكفاء) بفتحهـا ، و (الاكفياء) ، وهناك (الآذن) و (الساعي) ، فماذا نأخذ وماذا ندع ؟ واين هو موضع الصواب في ذلك .. ؟ » .

فقلت : « وما انت وهذا ، وما عهدتك متنطعا فيمـا تقوله او تكتبه ، وانك لتعلم ان من قبلنا قطعوا في حكمهم اذ قالوا : (ان خطأ شائعا خير من صحيح مهجور) ، فهل فاتك امر هـذا ؟ . » .

قال : « بل انني كما عهدتني ، وما فاتني شيء مما قلت ، ولكنني اخشى ان اكتب كلاما اقع فيه مـن حيـث لا ادري في المزالق ، فيسجل علي من يتعقبون خطئي ، فيحرجني ذلك امام الاخرين ، وامام نفسي ، فلا تعجـب ان تساءلت » ..

قلت : « اما هذه فانت فيها على صواب ، وان مدى ما يبلغ اليه علمي ، ان (الوظيفة) هي مقدار من المـال او الرزق يتناوله (الموظف له) في موعد حدد له . ومـن اجل ذلك ورد في اقوالهم : (ان فلانا كانت له وظيفـة يتقاضاها من السلطان عند كل هلال) . و (التوظيف) عندهم هو التحديد . فمن كلامهم المأثور : (ان الخليفـة وظف له الرزق ولدابته العلف) . وعلـى ذلـك تكـون (المنصب) هي الافضل للمعنى المتداول بيننا .

واما الاخصائي بتشديد الصـاد ، و (الاخصائي) بفتحها ، فهي جديدة في مدلولها . والذي عرفه العرب هو (الاخص) ، فقالوا : انه (الاخص) بين الاطباء ، اي : الافضـل . فاذا كثروا فهم (الاخصاء) اي (الافاضل) ، على وزن (الاعز والاعزاء) . الا ان مرادهم من الكلمة التي ذكرتها انت غير ذلك . فهم يريدون منها : « انه تفـرغ للامر وتخصص به » . وعلى ذلك فهو (المتخصص ، اي : المنفرد به دون غيره) ، وتلك اذن هي الاصوب .

واما الاكفاء (بتشديد الكاف) فهي جمع (كفيف) وهو الاعمى ، قياسا على (شديد واشداء) . بينما المراد هو (الكفء) اي : القادر وجمعها (أكفاء) على وزن (جزء واجزاء) . واما (اكفياء) فان مفردها (كفي) اي يغنيك عن غيره . وهي صحيحة كما اوردتها ، وقياسها (غنـى واغنيـاء) .

ويبقى من ذلك قولك : (الآذن) و (الساعي) ، وما فيهما علة ، ولكن السالفين في تاريخنا قالوا : (الجلواز) وهي أعجمية معربة ، ولها قصة طريفة حدثت مع « القاضي الشعبي » ايام الخليفة عبد الملك بن مروان اذ شكا اليـه اعرابي امرأته ، فحكم لها عليه ، فقال يهجوه :

فتـن الشعبي لمـا	رفـع الطرف اليهـا
فتنتـــه بجمـال	وبخطـي حاجبيهـا
قـال للجلواز قربها	واحضـر شاهديهـا
وقضى ظلما على الخصم	ولـم يقض عليهـا

فسمي في شعره (ساعي المحكمة) او (اذنهـا) : (جلوازا) كما رأيت ، وربما كان هذا التعبير هو الشائع بينهم آنـذاك .

كذلك قلت لصاحبي ، احدد له مواضـع الصـواب فيما سأل عنه ، وما اكثر الذين يسألـون مثل سـؤاله ، فيصلح هذا الذي اوردته جوابا على ما يسألون ، ومـا احوجنا الى ان نبحث عن مواضع الصـواب في لغتنـا الجميلة ، حتى نفيها حقها من التكريم ، فلا نكتبهـا الا صحيحة منزهة عن الخطأ ، وحسبك ان الله كرمها حين انزل بها قرآنه ، وما اجله من تكريم .

شباب طامحون

الشباب في كل أمة هو عماد هذه الامـة ، وهـو الركيزة الوثيقة التي يتكيء عليها الوطن ، وتقوم من فوقها دعائم عزته ، وكرامته ، واستقلاله .. وانهم هـم الشعلـة الوضاءة التي تنير بين يديه مسالك الطريق . حين يمضي قدما الى بعيد الغايات ، يستعيد الغابر من الامجـاد ، ويبدع الجديد من المآثر .

والشباب هم الصيحة المدوية ، التـي تنبعث فـي وجه الباطل ، ترده على اعقابه وتصده عن غاياته، وتقسره على الهزيمة ، فاذا هو يولي الادبار مذمومـا مدحورا لا يلوي على شيء ، ولا تثبت له قدم .

والشباب هم بسمة الامل ، ونفحة الرجاء ، واطلالة الفجر الضاحك ، الذي تتجه اليه القلوب والابصار ، من ابناء الامة جميعا ، كلما تلبدت الحياة باليأس ، وكلمـا اظلم افق الغيب بالمجهول .

وكثيرا ما تكون هنالك آمال تراود النفوس ، ولكنها سرعان ما تذوب في اطواء كثيفة مـن التلكؤ ، والتردد ، والخذلان . ولكن الذين يحيلون هذا الامل الـى واقع ، ويترجمونه الى حقيقة تنبض بالحياة ، انما هـم اولئك الفتية الامجاد ، الذين لا يعرف الخذلان اليهم سبيلا .

اولئك هم الشباب الفالح في كل إمة .. وانهم هم الذين غناهم امير الشعراء شوقي في الشطرة الثانية من بيته الذي يقول فيه :

شباب خنـع لا خيـر فيهم	وبورك بالشباب الطامحينـا

وما دمنا نعيش مـع الامل الباسم ، ومـا دمنا نستقبل الاحلام التي سوف تستحيل الى حقائق ، فـان شبابنا في الوطن العربي كله ، سوف يكونون جميعا مـن

رثاء عزيز ميرزا

شغل الفقيد الكريم منصب رئيس تحريــر الاهرام
لمدة طويلة خلفا للاستاذ انطون الجميل « باشا »

العوضي الوكيل

★ ★ ★

هــو حمل ـ كما علمت ـ ثقيــل والمودات فــي القلــوب حمــول
كيف أبكيك كفء قدرك عنــدي وغزير الدمــوع فيــك قليــل
كيف أبكــي ودا أرق مــن الاز هــار والروض يانــع مطلــول
كيف أبكــي الوفــاء والادب الجــم وفضــلا خصيمــه مفضــول
كيف أبكي أبــا رفيقــا وأستــا ذا ، وخدنــا ، وصاحبا لا يحــول
وصديقا أن مال عنك لصرف الد هــر قــوم فانــه لا يميــل
واماما فــي كــل علــم وفــن ولسانا مــن الشهــاد يسيــل
وحساما يصيب فــي مقطع الحـ ـق ويمضي وهو الحمى الصقيل

مثل اولئك الذين عناهم شوقي فــي شطرته الثانية .. فكلهم شباب طامحون ..

صديقك الذي صدقك

يا اخي القارىء . ما اكثر الذي يقوله لــك الكتاب وجماعة الادباء .. ويواجهونك به مع كل صباح ، ومع كل مساء ، فاذا هو يطالعك في الصحف والمجلات ، واذا هو يصب في مسمعك من خلال امواج الاثير ، واذا هــو يواجهك على شاشة التلفاز .. واذا انت في غمرة مــن ذلك كله ، لا تدري ماذا تأخذ وماذا تدع ، من هذا الذي تقراه ، وتسمعه ، وتراه .. وما اكثره حين يواجهونك به جملة وتفصيلا ..

لست اقول لك . انهم يظلمونك بهذا الذي يوجهونه اليك ، ويجعلونك فيه الهدف المتعمد ، فما ارادوا به الا الخير لك ، وما استهدفوا به الا ان ينيروا الطريق بــين يديك ، بما تناهى اليهم من ضياء المعرفة ، وما امتلأت به ايديهم من ثمار التجارب ..

ولست اشفق عليك من هذا الذي تقراه ، وتسمعه ، وتراه . فانت تضيف به في كل يوم جديدا الى ما تعلم ، وما احوجك الى مثل هذا الجديد ، مــا دامت الحكمة الخالدة في القول المأثور ، تتردد في مسمعك ، ويتجاوب فيها النطق الكريم . « اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

لست اقصد ذلك .. ولا اعنيه .. وانمــا الــذي اقصده واعنيه ـ بعد هذا العرض ـ هو ان ابين لــك ، بانك واجد في هذا الذي تقراه ، وتسمعه ، وتراه ، كلاما مختلف الوجوه ، متعدد الغايات ، متنوع المقاصد . وفي خلاله ، وما بــين ثناياه ، ضالتك المنشودة ، وطلبتــك المبتغاة ، وتلك هي كلمة الحــق الخالصة لوجه الخير ، والمجردة من كل غرض ..

وعند هذه الكلمة ـ وحدهــا ـ يجب ان تقف .. بل عندها يجب ان تطيل وقوفك ، بمقدار مــا تستغرق منك النظرة الفاحصة ، ويستوعبه التــروي البصير ، والتأمل المحكم ..

وان هذا الذي يقول لك كلمة الحق ، سواء في ذلك اكتبها ، أم نطق بها ، ام عرضها صورة مــن صور الحياة يعيش فيها اشخاصها ، انما هو ـ وحده ـ صديقك الذي صدقك ، وانه هو الذي اخلص النية فيما انجزه لك .

ومن اجل ذلك ، فانه له عليك حقا .. وان من حقه عليك ، أن يكون موضع اهتمامك ، وان تحرص على لقائه حين يلقاك ، فتمنحه سمعك وبصرك وبصيرتك ، وتصغي اليه بكل جارحة من جوارح نفسك ، لتجد عنده الخير ، ولتسمع منه النصيحة الخالصة من كل شائبة ، والارشاد خالصا من كل غرض ..

يا اخي القارىء ، ذلك ما اختتم به كلمتي اليــك ، وعلى امل ان القاك في عدد مقبل من هذه المجلة الزاهرة ، ارجو ان يحالفني التوفيق فيما اعده لك ، فأقول لك فيه كلمة الحق ..

عمان ـ الاردن **محمد سليم رشدان**

وفؤادا اذا مضى حسم الامـ ـر ، وأمضى السيوف ثم كليل
وبيانا كمنطق الطير : تغريـ ـد وشدو مرنم وهديل
ولسانا مهذبا تجفل الفحـ ـشاء منه ويفزع التضليل
وحديثا أندى من الصبح والصبـ ـح على ربوة الربيع جميل
فيه من رقة النسيم صنوف وبه من شذى الورود شكول

أيها الكاتب الذي شاد فينا دولة للبيان ليست تدول
دولة شادها التفقه والعلـ ـم ، واعلى بناءها التحليل
ما بنتك ((الاهرام)) فيمن بنتهم بعلاها ، بل أنت بان جليل
زدت فيها على الشموخ شموخا فاستطالت ، وانت لا تستطيل
وتواريت خلفها كأبيل (1) حين يخفي خلف الستور الابيل
ما تفيأت ظلها ، انما فضـ ـلك ظل على ذراها ظليل
ان تكن روضة فبعض رواها جدول منك دافق سلسبيل
أو تكن منهلا فمن فنك الفيا ض تهمي مياهه وتسيل
كل حرف كتبته في ذراها منهج رائع ، وفن جميل

يا صديقي ، ويا أخي وابي البـ ـر ، ومعنى ضلت مداه العقول
ان تكرناك ربما ينكر الشمـ ـس، ضحى في السماء طرف كليل
او جهلناك ربما عاف ماء النـ ـيل عذبا فم مريض عليل
واذا لم نضع ورودا على قبـ ـرك يزهو بنظمها اكليل
واذا لم نضع شموعا على القبـ ـر فيدجي ظلامه ويطول
فكفى ان حول قبرك معنا ك مضيئا كأنه القنديل
طيبة ثمرة وخلقا رضيا وعبيرا يبقى ، وتفنى الفصول
كم نبي أتى فانكره النا س وكم ضاع في الانام رسول

يا عزيز الوفاء والفهم والحكـ ـمة ماذا ـ بالله ـ فيك أقول ؟
عقدت بعدك الخطوب لساني وانطوى بعد عهدك الترتيل
وذرفت الدموع فيك ففاض الـ ـدمع حزنا وقام عنه الذهول
وأشد الخطوب وقعا على النفـ ـس مصاب ضخم ودمع بخيل
ربما هاجت العواصف بالطيـ ـر ومنه فيهن جسم نسيل
ويح نفسي من الخطوب ، رعيلا يقتفيه الى الفؤاد رعيل
ورباطا منها وراء رباط وقبيلا يتلوه منها قبيل
واذا الترب ضم خدنا فشلو منك حزته بالحمام نصول

قال لي كيف أنت قلت عليل قف قليلا فقد يبل غليل
انما ساعة التفرق هول عي عنه التخييل والتهويل
اشرعت فلكك المنايا سراعا وذرا الخلد مرفأ مأمول

(1) الابيل : الراهب .

مصر الجديدة — العوضي الوكيل

الـرائعـة

كان العدوان الاسرائيلي على مدينة السلط في ٤ – ٨ – ١٩٦٨

بقلم علي فودة

— عم تتحدث ؟

— لا شيء . لا شيء . انها الفرفة ...

★

سرنا متجهين نحو الفرفة، والغيظ يتأزم في نفسي .. كنت افكر في صوت المذيع حينما اعلن قبل دقائق من محطة صوت العرب : « توقع



هجوم العدو على الضفة الشرقية من الاردن » .

وسألت منذر :

— اتظن انهم سيهاجمون « عمان » هذه المرة ؟

ورد ببرود مقيت :

— ربما ...

ومضينا في طريقنا .. كانت الطريق تحفباشجار التين والرمان . الكرمة تتسلق الجبال . واشجار من الجوز والدفلى تتزاحم في بعض الاماكن بتناسق بهيج .. شعرت بالغبطة تمسح غيظي . احسست ان هذه الطبيعة الساحرة اقوى من هجوم العدو !

وقفنا امام غرفتين صغيرتين ، فتنحنح صديقي صائحا :

— « ابو احمد » .

خرج من البيت عجوز اشيب الشعر . رحب بنا بحرارة ، ثم اجلسنا في احدى الفرفتين .

قام ابو احمد ليريني غرفتي التي سأستأجرها ، فدهشت حينما علمت انها ستكون هذه الفرفة التي نجلس فيها . واسرعت اقول لصديقي حالما خرج الرجل ليحضر لنا القهوة :

— عليك اللعنة . حتى الفار نفسه يرفض السكن في جحر حقير كهذا !

— من يدري !! قد يهبط الالهام هنا وتلد الرائعة . ترى ، اتظن انني سأعيش حتى اراها !

قلت باهتياج :

— لست ادري .

وقاطع دخول الرجل بالقهوة نظرات صديقي الساخرة ، فعاد يقتصب ابتسامة من شفتيه وهو يسمع الرجل يرحب بنا :

— « اهلا وسهلا . اهلا وسهلا . ان شاء الله عجبتكم الفرفة، دينارين ونص شهريا » .

قلت وفي نيتي أن لا استأجرها :

— سنفكر في الموضوع .

وما ان خرجت من العتبة حتى تسمرت عيناي فوق غدائر شعرها

كنت اجلس في مقهى صغير بمدينة السلط حينما مرت .. فتاة في الثامنة عشرة ، شقراء وترتدي مريولا اخضر اللون . شعرت بذلك التوتر المشدود في نفسي قد بدا يتراخى وانا اراقبها .. هزيلة ، تسير بخطوات كسولة ، وغدائر شعرها الاشقر تتطاير فوق كتفيها .. انها موديل رائع !!

عصرت اعوامي الثلاثين كلها في نظرة محرومة اطلقتها خلف تلك الفتاة لاسكت فضولي ، لكنني لم افلح .

ونسيت كل شيء وانا اطاردها بنظراتي الملهوفة .. نسيت الناس من حولي ، نسيت المعرض الذي سأشترك فيه ببيروت ، ونسيت انني كنت قبل لحظات افكر في وسيلة للخلاص من حياة الفندق .. كنت اريد غرفة هادئة .. غرفة صغيرة في احد الاحياء الشعبية ، حيث الاصالة العميقة التي انشدها دائما كي تلد رائعتي الفنية .. اريدها تحفة غنية ناضجة .. انها تتململ في نفسي منذ سنوات .

قمت عن الكرسي واسرعت اعدو خلف الفتاة . ولم اتوقف عن الجري حتى وقفت امامها . فوقفت هي الاخرى . حدقت في عينيها الحشيشيتين بنظرة بلهاء ، وانفاسي اللاهثة تصب جحيمها فوق شعرها الاشقر . ثم حاولت ان اكلمها ، لكن نظرتها الزاجرة حبست الكلام في حلقي ، فبقيت مشدوها احدق فيها بعينين متسعتين حتى رأيتها تمضي وهي تحاول واد ضحكة صغيرة كادت ان تفلت من بين شفتيها ..

واصابني شعور بالخزي حينما رايت اناسا كانوا يحدقون في وجهي ذاهلين ... كانت عيونهم توبخني .. تتهمني بالنذالة وقلة الذوق !!

اسرعت عائدا الى المقهى ، والخجل يسحقني من فعلتي الرعناء . وارقني التفكير حتى كدت انسى اولئك الذين اطلقتهم في المدينة بحثا عن غرفة استأجرها .

انقذني من شعوري الحانق على نفسي صوت « منذر » ، احد المجندين في خدمتي من اجل تلك الفرفة الموعودة :

— اهنئك يا صديقي . لقد وجدتها .

— وما هي التي وجدتها ؟

— الفرفة ، تلك التي ستلد فيها رائعتك الفنية .

ثم اردف ساخرا :

— ترى ، هل سأعيش لأرى تلك الرائعة !

ولم افرح . وجدت نفسي اقول :

— يا الهي . لقد سرقت قلبي في لحظة واحدة !

الاشقر ، شعرت وكأن الدنيا قد ابتسمت في وجهي . حدقت في عينيها الحشيشيتين ، فتهت في دنياهما الحالمة ..

وجدت نفسي اهمس ذاهلا :

– انت ثانية ؟!

ورأيتها تدخل الغرفة الثانية وهي تحاول واد ضحكة صغيرة كادت ان تفلت من بين شفتيها كالمرة السابقة.

اخرجت من جيبي ثلاثة دنانير . وضعتها في يد الرجل وانطلقت دون ان التفت خلفي ..

★

وصارت « هيام » تزورني في غرفتي ونتحدث .. حدثتني عن حياتها مع ابيها . وعن الوحدة والفراغ اللذين تعاني منهما بعد وفاة والدتها . وعن زميلاتها والمعلمات و .. عن كل شيء . كل شيء .

وصرت ارسمها .. رسمتها وهي واقفة ، وهي جالسة ، وهي تبتسم ، وهي تمد لسانها و .. كنا سعداء . نضحك كثيراً .

واعتدت وجود هيام بجانبي حتى انني صرت اشعر بفراغ كبير حينما تذهب الى المدرسة .. وذات مرة جاءتني هيام اثر عودتها من المدرسة . وضعت حقيبة كتبها جانبا ، ثم وقفت امامي ضاحكة :

– هيا وارسمني ايها الفنان الفاشل .

– ما عليك ألا ان تغمضي عينيك حتى ابدأ في الرسم فورا ..

واغمضت عينيها ، فتقدمت منها بخفة ، وسرقت من شفتيها قبلة سريعة مذعورة ..

رغرغت الدموع في عينيها الحشيشيتين . نظرت الي بتأنيب ، ثم مضت والدموع فوق خديها .

شعرت بنفس ذلك الاحساس بالخجل الساحق حينما اعترضت طريقها في المرة الاولى . وعاودني الشعور بالغضب الاهوج على تصرفاتي الحمقاء . فقمت لانفض عني رداء الحنق بالخروج من البيت ، لكنني فوجئت بدخول منذر . ابتدرني قائلا :

– هل سمعت بالدوان الجديد ؟

– عدوان ؟!

– على مدينة اربد وقراها . لقد ابتدأ قبل اكثر من عشر دقائق .

– يا للشيطان !! وماذا .. ؟

قاطعني قائلا :

– وماذا سيكون ؟ بعض القتلى والجرحى ، وركام بعض المنازل .. لا شيء اكثر من هذا .. ولكن ، قل لي : ما اخبار رائعتك المنتظرة ؟

قلت بملل :

– كالعادة . انها تتململ في نفسي !

وكادت السخرية تنطق في عينيه وهو يقول :

– ترى ، اتظن انني ساعيش حتى اراها ؟

قلت وفي نيتي ان اغيظه :

– من يدري . قد تموت !!

★

ركبت السيارة متجها الى عمان .. كنت اريد السفر الى بيروت لاشترك في احد المعارض هناك .. اريد ان اتجول في مراسمها ، ارى المعارض التي تقام هناك ، اتعرف على الفن الحقيقي في بلد الفنون .. اريد ان اتعلم كيف ابدع رائعتي .

في الطريق صرت افكر بهيام .. لقد رفضت ان تكلمني او تودعني ولو بنظرة ، ومع ذلك فقد كتبت لها عنواني ببيروت ، وتركته على الطاولة . وشعرت بالنقمة على تصرفاتي من جديد . فاحسست وكأن عيونا تعاود التحديق بي وتتهمني بالنذالة وقلة الذوق .

نزلت من السيارة واتجهت الى المطار . وبعد وقت قصير كنت اتجول في شوارع بيروت .. ان بيروت عروس فاتنة !

طفت بالمراسم . قابلت كثيرا من الفنانين .. لكنني شعرت ان اكثر ما رأيته بعيد عن الاصالة العميقة التي انشدها .

واشتركت في المعرض ، فعاد الناس يؤكدون فشلي ! لكنني لم اقتنع .. كان شيء يصر في داخلي : لا بد ان افعل شيئا ، لا بد ان ابدع تلك الرائعة التي تتململ في نفسي منذ سنوات .

وذات يوم ...

دخلت الفندق الذي انزل فيه ببيروت ، ففوجئت برسالة . فتحت الرسالة بلهفة ، فوجدت هذه الكلمات : « عاصم .. استحلفك بتلك القبلة اليتيمة ان تعود . عد الي يا حبيبي . عد الي . انني اتعذب .. هيام » .

طويت قلبي مع الرسالة وانطلقت .. احسست بالطرب يدغدغ فؤادي. اجتاحتني موجة من الفرح الحالم . يا الهي .. ان حبها يعشش في جذوري .

وطرت الى عمان .. كانت اول عبارة التقطتها اذناي من المذياع : « هجوم وحشي على مدينة السلط » وقفز قلبي . اسرعت كالملدوغ . المذيع يصرح : « العديد من الضحايا الابرياء » .

نزلت من السيارة ، واسرعت اعدو الى الغرفة .. كان كل عرق في يجري .. يريد أن يراها .

ورأيتها .. كانت عيناها الحشيشيتان تبكيان . اقتربت منها اهدهدها ، لكنها ازدادت في النشيج فوق صدري . كانت تردد : « منذر . منذر » .

وصرخت : منذر ، هل قتل ؟

واسرعت الى بيته .. كان في غرفته مضرجا بدمائه ، وابتسامة طاهرة ترتسم فوق جبينه الاسمر ..

عدت الى غرفتي والدموع تتزاحم في عيني ، وانا ارى غيره عديدين من الضحايا الابرياء ..

★

اقتحمت هيام علي الباب ، وهي

في مواسم القطاف

★

.. ومن هنا ،
من شرفتي التي تنام في العراء ،
على سرير العتمة الدجيه ،
وتستعير من خواطر السماء
خرافة تسامر الخيال في العشيه ..
من شرفتي الحبيه ،
أهدي اليك الود والتحيه !

بالامس ، يا حزينة الجمال ،
بالامس ،
كنت في تطلع الربيع ،
وكنت في تبسم الجراح والدموع ..
بالامس كنت لا أحب أن أجوع ..
لانني جنحت في تفاهة الخيال ،
لانني غرقت كالاطفال
في ضلالة الحنان والولوع ..
لانني نفضت عن رجولتي
مشاغل الرجال !

بالامس كنت لا أصدق الشقاء
لانني خلعت ثوبي المنسوج
من مرارة الشقاء ..
ورحت ، في وداعتي ، أصادق الرجاء ..
فصدني الصقيع في عينيك ،
في خديك ،
في يديك ،
في ...
وأخرست توهمي .. حقيقة الشتاء ،
وأخرست حرارتي .. برودة الشتاء ،
وعربدت في خاطري ،
حقيقتي .. حقيقة الغباء !!

والآن لم أعد أخاف ،
ولم أعد اواجه المجهول بالوجل ،
الآن صوحت ازاهر الامل ،
ورحت أمضغ السقوط والفشل !

الآن لم أعد أخاف ،
لانني غدوت كالغريب
في مواسم القطاف !!

فوزي عطوي

تصيح غاضبة :

ـ هل تريد ان تموت جوعـــا ؟ هذا هو يومك الثالث !!

لكنها تسمرت .. اخذت تحـدق بدهشة .. كان الاعجاب يرتســـم في عينيها الحشيشيتين. نظرت الي معجبة :

ـ هل انت حقا من صنع هــذه التحفة !؟

ـ ...

ـ يا الهي .. لكنها صورة منذر ، ونساء واطفال قتلوا يوم العـدوان على المدينة !!

وعرضت اللوحة .. صـــــار الجميع يؤكدون ان واضعها فنـان حقيقي ..انها رائعة رائعة حقا !!

وتصاعد سعرها . لقدوصل حدا خياليا . لكنني رفضت ان ابيعها .. كنت احس انها ليست ملكـي .. لم افعل شيئا .. ان منذر هو الذي ابدعها .. آنها رائعته !!

والقيت على اللوحة نظرة اخيرة ، قبل ان اضع يدي بيد هيام ونعـود الى البيت، فرأيت عيني منذر تطلان من خلفها وكانهما تقولان بسخرية :

« ترى ، هل ساعيش لارى تلك الرائعة !! »

الاردن — علي فودة

دقائق سوداء

الى الاب يوسف سعيد

☆

أفتش عن نفسي بنفسي فلا أرى … سوى شبح يطفو وآخر يختفي
وأشلاء أطياف حرار تبعثرت … على رف أكمامي وملتف معطفي
أراهن عبر الظن في مبهم الرؤى … لكالضوء يعلو في الضباب وينطفي

تضيع الصواري حاملات رياحها … الى العمق لا تدري الى اي مشرف
هو البحر ، بحر الدر والسر والردى … وصحو كأخلاق الربيع المفوف
يناجيك في خلجانه همس همسه … ويغنيك في أنوائه قاع صفصف

روت مقلتي عن مقلتي وتساقطت … بقايا الصبا من غصني المتجفف
اناء سكبت الشوق فيه فما ارتوى … جناحي ولا اعيا من الرشف مرشفي
اسارير محتها الليالي كليلة … وأغفى عليها الهم اغفاء مدنف
وصدر كأني قد حفرت ضلوعه … بنقرات ازميلي واطراف احرفي
ضنين لو ان الدرب باحت بسره … لقصت على الارجاء قصة مسرف
مشى ظله في ظله وترنحت … لذائذه في طبعه المتعفف
وفي الشوك من طعم الشذا كل نكهة … وفي الخصب من وقع الندى كل متلف
وصار زماني او مكاني كلاهما … كأنهما باب الى كل مقصف
خوان من اللذات ماجت به المنى … ومدت عليه النفس افياء مترف
اشد شراعي باليدين وانثني … ولا ينثني عن روعة الماء مقذفي

هنا ذكريات نائمات على الصبى … هنا نزوات في الخيال المطفف …
هنا لذة ضاعت وضاع جمالها ، … هنا مرهف يشكو جفاوة مرهف…
هنا نظرة طالت وطال حنينها ، … هنا غصة في دمعه المتكفكف …
هنا ذمة أصفى من الود خاطرا ، … هنا عفة في عفة المتقشف …
هنا كل شيء مبهم مات لونه … على القلب في دنيا الشجى والتأفف

تلاطمت الايام حولي كفيفة … سمعت لها جرسا على جرسها الخفي
تدب باقدام حفاة كأنها … لدى خشعة الايمان وعي المجدف
غوال ولكن عتقت في غبارها … قدامى ولكن متحف عبر متحف
عناكبها من قبل ان يولد الثرى … ومن قبل أن يدري الجفا كيف يجتفي

ولدت وبي من كل أرض حكاية … وغصن ، اذا قطفته لم يقطف
تعاتبني نفسي بأني جراحها … وفيت لهاتيك الجراح ولم تف
لك الله من نفس أضعت طريقها … وآمنت ان العقل أرجف مرجف

الياس خليل زخريا



الدكتور عبد السلام العجيلي

كتاب من على الرصيف

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

* * *

اشتهرت مدينة باريس منذ زمن بعيد بما يسمونهم البوكينيست ، وهم باعة الكتب المقروءة ، من قديمة وحديثة ، الذين يعرضون بضاعتهم على شاطىء السين في صناديق ثابتة او متنقلة ، تجتذب المتنزهين من هواة الكتب قراءة واقتناء ، فيقبلون عليها منقبين مقلبين بين اكوامها . وقد يقع هؤلاء الهواة بين هذه الاكوام على الكتاب النادر او الطريف ، وربما وجد احدهم فيها كتابا مفقودا ضائعا بين ركام من غث المنشورات ونفايات المطبوعات . حتى اصبحت النزهة على ارصفة السين بين مكاتبها الموقتة او المتنقلة هذه معروفة ومشهورة عند طلاب المعرفة والمولعين بالادب والثقافة .

وفي هذه الايام اشبهت باريس في هذه الناحية بلدان كثيرة في الغرب والشرق . كثرت في كل مدينة بيع الكتب على الارصفة او في عربات متنقلة ، مما جعل محب القراءة والمطالعة الذي يستمتع بالوقوف على المكاتب وتصفح ما تقع يده عليه من بضاعتها ، يجد متعته مبذولة له في كل مكان . وقد حصل لي ، كما حصل لكثير غيري ، ان اجتذبتني المكاتب المتنقلة في مختلف البلدان التي ازورها ، فوقفت عليها ، ونقبت في ما هو معروض من كتبها ومجلاتها او ما هو مكوم . كما حصل لي ان استهواني بعض ما وقع في يدي من محتوياتها فاشتريته وعدت به راضيا بصفقتي ، مسرورا في بعض الاحيان ، وفي بعض الاحيان اكتشف أني غبنت فيما اشتريت ، مهما كان الثمن الذي انفقته بخسا ، لان الكتاب الذي عدت به كان تافه المحتوى ، او في طبعة ممعتة في الرداءة ، او لان الكتاب الذي اقتنيته كان مبذولا وانا الذي اشتريته على انه مفقود أو نادر .

ذكرت هذا بعد ان انتهيت من قراءة كتاب حصلت عليه من احدى هذه المكاتب المتنقلة ، المبسوطة بضاعتها على أحد الارصفة. الكتاب الذي اعنيه مشهور على قدمه، ومؤلفه معروف عند الملمين بالادب ، ولكني لم اكن قراته قبل الان . فحين وقعت عيني عليه بين اكوام كتب الرصيف سارعت الى اقتنائه لاستدرك ما فاتني من الإطلاع عليه . ولقد قرات الكتاب كله وانما على عناء . فقد كان مثل كتب الرصيف ركاما مما هو غث وما هو سمين ، وكان محتواه من مكررات مجلدات الادب القديمة قد مر علي اثناء مطالعتي في تلك المجلدات مرات عديدة . وكان سيء التبويب كثير اخطاء الطباعة والنقل . فلما انتهيت من قراءته اخذت احاسب نفسي فيما اذا كنت كاسبا في انتقائي له وفي شرائي له ثم في قراءتي له ، ام خاسرا ؟ .

في الاول كدت أقر على نفسي بالخسارة ، لاني اضعت فيما اشتريته ذوقي ومالي ووقتي . ثم ما لبثت حتى اعترفت بأني وقعت ، من خلال قراءتي لنحو من مائتين من صفحاته ذات القطع الكبير ، وقفت ثلاث مرات على اخبار احتوت مقاطع شعرية استهوتني حتى حفظتها. فقلت لعل في هذا تعويضا عن ذلك . بل اني كلما اعدت تلاوة ابيات تلك المقاطع الشعرية ، لنفسي او في احدى المناسبات ، وجدتني غير نادم على قراءتي المتعبة لذلك الكتاب ، غير مغبون في الصفقة التي اشتريته بها .

والكتاب ، والقارىء لا بد يتساءل عنه الان ، هو كتاب « المخلاة » ، من تأليف كعبة الادباء وحجة الظرفاء بهاء الدين محمد بن حسين العاملي المتوفي سنة الف وثلاثة للهجرة ، صاحب « الكشكول » . ويكفي لتعريف بهاء الدين العاملي ان نقول عنه انه صاحب « الكشكول ». فكتاب « الكشكول » اشهر من ان يعرف ، فيه من كل علم طرف ومن كل اثر خبر ، على حسن انتقاء وغزارة مادة ، وان كان التبويب فيه معدوما . اما « المخلاة » فانها كتاب يشبه « الكشكول » في انه مجموعة متنوعات مستقاة من اخبار الاولين واقوالهم واشعارهم ، الا ان محتواها افقر من محتوى « الكشكول » ، ومادتها جافية عسرة الهضم ، عدا انها مما تردد في كثير من كتب الادب الجامعة ، ولا سيما الكتب القديمة التي تنزهت عن سقط ما جمع

العاملي في مخلاته .

وربما خالفني قراء الادب القديم ومحبوه ، بعضهم او كلهم ، فيما قلته عن كتاب « المخلاة » وسوء تقديري له . ولكني لا استطيع انكار اني أتممت قراءته على مضض ، ووجدتني في قراءته قليل الفائدة عسير المعاناة . ولكني كنت مع ذلك في اثناء تلك القراءة القي بعض النوادر فأقف عندها ، كمن يقف عند تحفة فنية غارقة في سقط المتاع او مدفونة بين اكداس الثياب البالية . وبصورة خاصة كانت لي في هذا الكتاب ثلاث وقفات هي التي اشرت اليها آنفا .

اولى تلك الوقفات الثلاث كانت لي عند خبر صغير ورد في مطلع الكتاب . قال صاحب « المخلاة » في الخبر : قال سلمة الاحمر ، دخلت على هرون الرشيد فلما رأيت القصور انشأت :

اما بيوتك في الدنيا فواسعة ... فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل هرون يبكي ثم قال يا سلمة عظني واوجز قلت يا امير المؤمنين ... الى اخر الخبر .

استوقفني هذا الخبر ، او بالاحرى استوقفني هذا البيت لعفويته ولمكان قوله ، حين يقوله زاهد لامير المؤمنين ، ولتأثيره في امير المؤمنين حين ابكاه . وربما كان استيقافه لي لانه ورد في « المخلاة » في موضع لم اكن اتوقع اني اقرأه فيه .. او انه ربما استوقفني لانه اصاب مني نقطة حساسة في حالة نفسية خاصة كنت فيها حين قرأته . او ربما كان هذا وتلك او كلها مجتمعة ، واما الذي اذكره فهو ان معنى ذلك البيت ومبناه استهوياني ، وانه ظل على لساني مدة اردده كلما لفت نظري فيما اراه او امر عليه بناء شامخ او دار واسعة او موضع انفق عليه وبذل فيه حتى اصبح متعة ، اقول لمن حل فيه :

اما بيوتك في الدنيا فواسعة ... فليت قبرك بعد الموت يتسع !

وقفت مرة ثانية في قراءتي « للمخلاة » عند بيتين من الشعر في خبر ، بعيدين في معناهما عن بيت سلمة الاحمر الاول ، كما ان خبرهما بعيد عن خبر . البيتان لابي الشيص ، وهو ابو الشيص الخزاعي ، الشاعر العباسي المحسن ، وقد اورد ابو تمام في حماسته مقطوعة جميلة من شعره في النسيب . يقول خبر « المخلاة » ان صديقا لابي الشيص كان وعده بأن يرسل اليه مخدة طبرية قماشها من الكتان . ويبدو ان الصديق ابطأ في انجاز وعده فكتب اليه ابو الشيص يقول :

يا صديقي وخليلي ... واخي في كل شده
ليت شعري ازرعتم ... بزر كتان المخده

هذا التساؤل الرائع ، الساخر ، الضاحك :

ليت شعري ازرعتم ... بزر كتان المخده ؟

هو ابلغ ما يمكن ان يقال في الاستبطاء حين يسأل الشاعر صديقه ، الذي هو اخوه في كل شدة ، عما اذا كان هو واهله قد زرعوا بزر الكتان ليصبح كتانا ، يقطف ويدق وتعطن اليافه لتحول خيوطا تنسج لتصبح قماش مخدة تهدى الى ابي الشيص ! ... لم اتمالك ان ضحكت بعفوية من براعة السخرية في هذين البيتين :

يا صديقي وخليلي ... واخي في كل شده
ليت شعري ازرعتم ... بزر كتان المخده !

وكانت وقفتي الثالثة بين صفحات كتاب « المخلاة » المكتظة بما هب ودب ، عند ابيات ثلاثة بعيدة في غرضها عن بيتي ابي الشيص ، وابعد ما تكون عن بيت سلمة الاحمر الزاهد الواعظ . ثلاثة ابيات غزلية ، من الغزل الغريب ، نسبها العاملي لابي نواس ولم ترد في ديوان ابي نواس المتداول بين الناس . الا ان هذه الابيات تتسم بروح الجدة التي تميز بها شاعر التجديد والمجون والخمر ، الحسن بن هانيء ، وفيها جمال ادائه وبديع فنه . وفيها فوق ذلك نفحة عصرية ، نسبة الى عصرنا الذي نعيش فيه ، عجيبة في توافقها مع مذاهب الفن الجديد ، الى تمكن شعري بعيد عن الدجل والشعوذة التي يسلك سبيلهما الفنانون الجدد في كثير من الاحيان. قال العاملي في « المخلاة » ، قال ابو نواس :

لا تقولي لا فمكتوب على ... وجهك المشرق نورا نعم
بحروف خلقت من قدرة ... ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها ... طرفك الفتان والميم الفم

غزل غريب كما قلت ، يكاد قارئه يرى فيه الاسلوب المتكلف في استجلاب التشبيهات البعيدة والمصطنعة ولكنه يقترن بجمال الموسيقى وحسن التأليف بين الكلمات والشاعرية الحلوة في هذا الخطاب الموجه الى حبيبة تهم بالصدود فيستلين الشاعر قلبها بهذه الرقية الساحرة ، كيف تقول لا ، وقد رسم الله كلمة نعم في خلقها بأفتن طريقة واجمل صياغة ؟ .

لا تقولي لا فمكتوب على ... وجهك المشرق نورا نعم !

وقد ذكرت توافق هذه الابيات مع مذاهب الفن الجديد ، واقصد بالفن هنا فن الرسم ، ومذهب الزخرفة المستقاة من الحروف ، والحروف العربية بصورة خاصة ، التي كان اشهر روادها الفنان التجريدي بول كلي . لقد فتن كلي بجمال الحروف العربية فاستقى منها لوحات بديعة وشهيرة ، وسار على اثره رسامون كثر . وقد وددت لو ان واحدا من فنانينا رسم من ابيات ابي نواس الثلاثة هذه لوحة ينبع فيها رضى الحبيبة الجميلة من جمال الاحرف التي رسم الله بها كلمة نعم بحاجبها وعينها وفمها الارجواني المضموم ... ترى اما كانت تكون لوحة رائعة وعجيبة ؟! .

هذه ثلاث وقفات في كتاب « المخلاة » غفرت بها لمؤلف الكتاب كل ما اخذته عليه فيه من ابتذال او سوء حشو او تفاهة الاختيار ، كما اني تعوضت بها عن العناء الذي لقيته في متابعة قراءة ما لم يلذ لي في صفحات « المخلاة » المكتظة .

احبه كثيراً



أحبه كثيرا ..
أحبه كثيرا ..
أكاد من جنوني
اليه ان اطيرا
وانشر الجناح
أسابق الرياح
أحاور الهواءا
والصبح والمساءا
واقفز الجسورا
والنهر .. والبحورا
شوقا الى حبيب
أحبه كثيرا ...

أحبه كثيرا ..
أحبه كثيرا
أكاد من جنوني
اليه ان اطيرا ..
واغزل الصباح
وشمسه .. وشاح
ليتقي حبيبي
بظلـه الهجيرا ..
وألثم الضياءا
والارض والسماءا

والورد والعبيرا
والسندس النضيرا
لان لـي حبيبا
أحبه كثيرا ...

أحبـه كثيرا
أحبـه كثيرا ..
أحبـه لاني
كأنه .. كأني
أصبحت في هواه
منه .. فصار مني ..
ان حدثوه عني
يذوب مرتين
فيشعل الاثيرا
من ذوبه سعيرا

وان حكوا عليه
أريق دمعتين
فدمعة لكوني
أحبـه كثيرا ...
ودمعة لاني
وجدته أخيرا ...

القاهرة — فتحي سعيد

على اني لا اكون منصفا اذا قلت ان كـل ما فـي « المخلاة » ، ما عدا هذه الابيات التي قراتها ، قليـل الفائدة او خال من المتعة . فلا شـك فـي ان اكداس منقولات العاملي في كتابه نتفا قيمة يحسن التملي منهـا او الوقوف عندها . وقد خطر لي ان اضيف الى الوقفات الثلاث التي ذكرتها واحدة رابعة ... وقفة عجيبة ولكنها محرجة حتى ليحجم الانسان عن روايتها على اسماع كـل الناس . لذا فقد فضلت ان اكتفي بما اوردت من مقاطـع شعرية فيها زهد سـلمة الاحمر وسـخرية ابي الشيص وغزل ابي نواس ، وتركت للمولعين بالطرف الادبية ونوادر الكتب القديمة ان يقفوا بانفسهم على تلك المقطوعة المحرجة المروية في ثلاثة اسطر ، الثالـث عشر والرابـع عشـر والخامس عشر من الصفحة الثامنة والعشرين من كتـاب « المخلاة » لكعبة الادباء وحجة الظرفاء بهاء الدين محمد بن حسين العاملي رحمه اللـه رحمة واسعة واجزل لـه الاجـر والثواب .

الرقة ــ سورية — عبد السلام العجيلي


محمد عبد الغني حسن

انور الجندي بين كتاب التراجم

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

كتب التراجم كثيرة في المكتبة العربية ، وفي الادب العربي منذ نشأته حتى اليوم ، وانواعها كثيرة متنوعة ، ومناهجها متغيرة متباينة .

انواع من كتب التراجم : التراجم العامة الجامعة . التراجم حسب العصور – التراجم سنة سنة ، التراجم حسب الطبقات ، كطبقات الصحابة (الاستيعاب – اسد الغابة ابن الابثى – الاصابة لابن حجر) .

وطبقات الفقهاء – وطبقات المفسرين (مثل كتاب السيوطي) – طبقات المحدثين والحفاظ (مثل كتاب الكمال) لابي محمد عبد الغني المقدسي الجباعيلي ، ثم جاء المزي في القرن الثامن فهذبه في (تهذيب الكمال) ثم جاء الذهبي فألف تذهيب التهذيب ، ثم جاء ابن حجر فألف تهذيب التهذيب – طبقات النحاة (كطبقات النحويين واللغويين) للزبيدي الذي حققه الاستاذ ابو الفضل ، « وانباه الرواة ، على أبناه النجاة » للقفطي – بتحقيق أبو الفضل أيضا – طبقات الشعراء ككتاب ابن سلام ، واليتيمة ، ودمية القصر ، والخريدة للعماد الاصبهاني ، والقدح المعلى ، والفصون اليانعة لابن سعيد ، وطبقات الصوفية مثل كتاب السلمي ، وحلية الاولياء لابي نعيم وصفة الصفوة لابن الجوزي ، وطبقات الشعراني المتوفي سنة ٩٧٣ هـ .

وهناك طبقات القضاة مثل كتاب الكندي ، ورفع الاصر لابن حجر وكتاب النباهي المالقي في قضاة الاندلس.

وهناك طبقات الاطباء مثل عيون الانباء . وذيل عيون الانباء للدكتور احمد عيسى – وهناك طبقات الفلاسفة والحكماء مثل تاريخ حكماء اسلام للبيهقي ، واخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .

اما كتاب « أعلام وأصحاب أقلام » للاستاذ انور الجندي فهو من كتب التراجم العامة ، فتجد فيه تراجم الرحالين ، والنقلة والمترجمين (مثل رفاعة) ، ومؤرخي الادب (مثل حسن توفيق العدل) ، ومحققي التراث ومحبيه (مثل أحمد تيمور ، واحمد زكي) والاطباء ، (علي ابراهيم) ، والاثار العربية (علي بهجت) والآثار المصرية القديمة (احمد كمال ، وسليم حسن) ورجال التربية والتعليم (مثل امين سامي) ، واعلام الصحافة (امين الرافعي) وفن النحت (محمود مختار) وزعماء حركات الاصلاح والتحرر الاجتماعي (قاسم امين) ورجال العلوم (عثمان غالب ، وعلي مصطفى مشرفة) ورجال اللغة العربية (مثل حلمي ناصف ، واحمد الاسكندري) ورجال الاقتصاد والتعاون (مثل طلعت حرب وعمر لطفي) .

لكل مؤلف في التراجم منهج وخطة . فابن خلكان رتب كتابه على حروف المعجم ، لانه وجد ذلك أيسر من ترتيبه على السنين . وان كان هذا يقضي الى تأخير المتقدم ، وتقديم المتأخر في العصر ، وادخال من ليس من الجنس بين المتجانسين ، كادخال طبيب بين شعراء او شاعر بين فقهاء ، لان المصلحة احوجت الى هذا . . .

ولم يذكر ابن خلكان في كتابه احدا من الصحابة ولا التابعين الا جماعة يسيرة تدعو الحاجة الى معرفة احوالهم . ولم يذكر واحدا من خلفاء المسلمين اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب . ولم يقصر ابن خلكان كتابه على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه .

اما صاحب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، فقد جمع في كتابه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية ، من الاعيان والعلماء والملوك والامراء والكتاب والوزراء ، والادباء والشعراء . وجعل عنايته خاصة برواة الحديث النبوي ورجاله لان الكثير منهم كانوا شيوخ شيوخه ، وقد ادرك بعضهم ولم يلقه ، ولقي بعضهم ولم يسمع منه ، وسمع من بعضهم .

والحسن البوريني صاحب « تراجم الاعيان ، من ابناء الزمان » والمتوفي سنة ١٠٢٤ هـ ترجم لطائفة كبيرة من

رجال القرن العاشر والحادي عشر ، من عالم عامل ، او فاضل كامل ، ومن سلطان او امير او صاحب فن سواء رآه أم سمع بأخباره من الثقات والاخيار ، ورتب المترجم لهم على حروف المعجم ، وراعى شهرة اللقب وفضلها على الاسم ، واقر بأنه لا يذكر من اوصاف احد الغالب الا الوصف المحمود ، طلبا للثواب يوم تنقسم الوجوه الى بيض وسود ...

اما العلامة احمد تيمور فلم يذكر لنا منهجا في كتابه « تراجم اعيان القرن الثالث عشر .. » ولم يكتب للكتاب مقدمة ، ولكنه اختار جماعة ممن رآهم في تقديره أولى الناس بالترجمة لهم ... ولم يراع في ترتيبهم مواليدهم ولا وفياتهم ولا ترتيب اسمائهم على حروف المعجم فقدم عبد الله النديم على الشيخ احمد مفتاح .

اما حسن السندوبي صاحب كتاب « اعيان البيان » فقد راى ان يضع كتابا وافيا يصح ان يكون تاريخا للاداب العربية ورجالها الذين نبغوا في عصر محمد علي واسماعيل وعباس الثاني . ولم يحفل السندوبي كثيرا بالشهرة ولا اعتد بها في اختيار الاعيان لانه كما يقول لا يرى نباهة الذكر وبعد الصيت ، في أكثر الاحيان دليلا على التفوق ، او معيارا يوزن به النبوغ ولم يأبه للصداقة في اختيار الرجال اذا كانت تحول بين نفسه وبين ما ينبغي من الحقيقة ، فقاعدة الاختيار عنده هي الانفع والاصلح والابقى اثرا والاحمد ذكرا . وتعرض في اختياره لقضية المفاضلة بين المصريين والسوريين في خدمة اللغة العربية ، وكانت نغمة سائدة في العشر الاوائل من القرن العشرين ، فلم ير لسوري فضلا على مصري ، ولا لمصري مفخرة على سوري ، الا كما يكون للاخوة الرحماء من فضل التسابق في مضمار البر بأمهم : اللغة العربية .

هذه بعض مناهج كتاب التراجم في القديم والحديث ، فماذا كان منهج الاستاذ « انور الجندي » في كتابه « اعلام واصحاب اقلام » ؟

لقد كان قصده من الاختيار ان ترسم هذه التراجم في مجموعها صورة كاملة للحركات الفكرية والثقافية والاجتماعية المختلفة ، وهي تتكون ، وتنمو وان تصور بناء الامة العربية في مختلف مجالاته ، وهو يعلو ويرتقي .

ومن هنا لم يكن كتاب انور الجندي طبقيا خالصا ، ولا اقليميا خالصا . فهو لا يترجم لرجال من اليمن وحدهم ، او العراق وحدهم او سورية وحدهم ، او الجزائر وحدهم ، أو المغرب وحدهم ، ولكنه يختار رجالا من كل بقعة من الوطن العربي في فترة معينة يمثلون حالة الامة العربية في مجموعها في تلك الفترة بعينها ، فنجد زين العابدين السنوسي التونسي ، ورضا الشبيبي العراقي والشيخ البشير الابراهيمي الجزائري وعبد الرحمن الكواكبي السوري .

ولا تجد في هذا الكتاب مسلمين وحسب ، ولكنك تجد غير المسلمين من شاركوا في حركة الفكر العربي في الفترة الزمنية التي اختارها المؤلف فهناك توفيق اسكاروس المؤرخ القبطي ، والمكتبي المنظم ، وصاحب الدراسات التاريخية الممتعة في الهلال والمقتطف والاهرام والمقطم وهناك شبلي شميل الذي كان اول عربي دافع عن نظرية التطور والنشوء والارتقاء دفاعا حارا ، وأيد المذهب المادي تأييداً قويا جريئا ، ولكن الحق ان هذين الاثنين لن يكفيا لتمثيل المسيحيين والاقباط في حركة الفكر العربي في الفترة التي اختارها المؤلف ، فكم كنت اود ان يكون هناك ترجمة لمرقص سميكة ، وميخائيل شاروبيم ، وفرح انطون ، وسلامة موسى ، والصحافي العجوز توفيق حبيب .

ومن قواعد المنهج الذي اتخذه انور الجندي لكتابه أن الشخصيات الجهيرة الشهيرة والتي كتب عنها الكثير حاول ان يعرضها من زاوية اخرى غير الزاوية التي اشتهرت بها ، وان يرسمها من وجهة نظر جديدة ، او يلقي الاضواء على جوانب منها لم تظفر من قبل بعناية كاملة . كما صنع مع محمد فريد الزعيم الوطني السياسي في نظر الناس جميعا ، فقد عرض له من ناحية جديدة لم تكن مشهورة به ، وهي انه (مؤرخ) ، وقلما عنى الباحثون بهذه الناحية من نواحي محمد فريد او هذا الجانب من جوانبه ...

كذلك فعل انور الجندي مع الشيخ محمد عبده ، أو محمد فريد وجدي والسيد رشيد رضا ، فقد اضاف الى مجال الدراسات الاسلامية التي اشتهر بها هؤلاء مجالات اخرى في الادب كان الباحثون يتغاضون عنها او لا يولونها من العناية والدراسة ما يستحق ...

والاعلام الذين ترجم لهم انور الجندي في هذه المجموعة تقع تواريخ ميلادهم في الفترة بين عامي سنة ١٧٥٤ وسنة ١٨٩٨ . ولا ادري على اي اساس حدد الاستاذ المؤلف هذين التاريخين وان كان يقول في مقدمته ان مجال الدراسة هنا هو العالم العربي في فترة زمنية تقع من منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . وهذا كلام يحتاج الى سؤال : فالجبرتي المؤرخ توفي سنة ١٨٢٢ ، فهو سابق بوفاته على منتصف القرن التاسع عشر بثمانية وعشرين عاما . ويظهر أن هناك تجاوزا خفيفا لجأ المؤلف اليه ، فلا حاجة به ولا بنا الى حسابه على ما لم يكن له في حساب .. !!

ولقد انصف المؤلف بأن جعل لكتابه صفة التراجم العامة في فترة معينة ، حتى تكون الصورة التي يقدمها للفكر العربي في تلك الفترة أكثر اكتمالا ، وادق تصويرا ، ولكنه لماذا ترك في بعض الميادين فجوات كانت في أشد الحاجة الى ان تملأ ؟ لماذا ترك في ميدان التصوير محمد ناجي المولود سنة ١٨٨٨ ومحمود سعيد المولود سنة ١٨٩٧ ؟ ولماذا ترك في فن الغناء سيد درويش المولود

سنة ١٨٩٢ ؟ ولماذا ترك في التاريخ الوطني عبد الرحمن الرافعي المولود سنة ١٨٨٩ ؟ ولماذا تـرك في التـاريخ الاسلامي السيد رفيق العظم صاحب اشهر مشـاهير الاسلام والمولود سنة ١٨٦٧ ؟ ولماذا ترك في المصلحين ومجددي الاسلام الامام المعز جمال الدين القاسمي المولود سنة ١٨٦٦ ولماذا ترك في هذه الفترة الزمنية المعينة التي اختارها هو بمحض ارادته عشرات من الاعلام واصحاب الاقلام ، حتى تكتمل الصورة كما كان يريد ؟ ارجو ان يكون لهؤلاء الاعلام المنسيين نصيب في جزء ثان من هذا الكتاب نـراه عمـا قريـب .

لقد حملنا الاستاذ انور الجندي في كتابه الـى ذكريات غالية لنا مع حفنة كريمة ممن ترجم لهم والذكريات صدى . لقد التقيت في كتابه بترجمة طيبة ، لاستاذي الشيخ احمد الاسكندري الذي شجعني برسائله الكريمة في خلال بعثتي الى انجلترا ، واوصاني بـأن استـشعر معاني بلغاء الشعراء الانجليز وعلى رأسهم شكسـبير فلما مات سنة ١٩٣٨ رثيته بقصيدة اقول فيها :

المجمع انفطرت عليـك قلوبـه   والدار مزقهـا الهوى تمزيقـا

دفنوا بك العلم الصحيح وشيعوا   فـي موتك التمحيص والتدقيقا

يـا أصمعي العصر انك فقتـه   نسبا الـى أم اللغات عريقـا

والتقيت بترجمة وافية للمرحوم احمد تيمور الذي التقيت به وانا طالب فلما مات سنة ١٩٣٠ رثيته بقصيدة نشرت في المقطم وفي مجلة الفتح اقول فيها :

تبكي عليـك الاعين الباكية   بادمـع منهلـة جاريـة

من لغـة كنت اماما لهـا   وكنت فيهـا الحجة الراوية

والتقيت بترجمة امينة للشيخ عبد العزيز جاويش الذي اقمنا له ونحن طلاب ناشئون حفل تأبين كبير سنة ١٩٢٩ بدار العلوم ، القيت فيه قصيدة نشرتها الاهـرام والمقطم على عمودين ، اذكر منها قولي المبتدى :

انا ابكيك وان طال المـدى   فبكاء الحر دين في الرقاب

أكذا بـين عشيات المنـى   وضحاها ، انها جد كذاب

أكذا الدنيا اذا مـا اقبلت   آذنت بعـد قليل بالذهـاب

عجبا نجري الـى ابوابنا   والردى يسبقنا في كل باب

والتقيت بترجمة طيبة لاستاذي وصديقي المـؤرخ الاثري سليم حسن الذي كشف الهرم الرابع سنة ١٩٣٢، بعد أن كشف قبله مقبرة « رع ور » الكـاهـن الاكبر للوجهين البحري والقبلي ، فهنأته في ذلك الحين بقصيدة نشرتها الاهرام على عمودين وانا ما زلت طالبا . اذكر منها قولـي :

كشف فتحت به السبيل المغلقـا   أأخذت انت علـى نجاحك موثقا

بالامس تكشف فـي القبور دفينة   واليوم تكشف في القصور خورنقا

بالامس وفقك الاله فلـم تخب   واليوم كنت الـى النجاح موفقا

فاس ضربت بها الصخور فاخصبت   ويد خططت بهـا التراب فأورقا

واذعت مـن سر العصور خبيئة   كانت علـى الايام سرا مغلقـا

حينما شرفني اخي انور الجندي باهداء هذا الكتاب الي من شهور ، كرمني بعبارة كريمة في الاهداء ، أسرف فيها بلطفه وحسن تقديره الى حد خشـيت معـه ان يداخلني الغرور بمكاني في فن كتابة التراجـم والسـير الذي اختاره لي الصديق الكريم .

واشهد الله انني مع مشاركاتي المتواضعـة فـي التراجم للقدماء والمحدثين ومع طول تقليبي لكتب التاريخ والسير والطبقات في القديم والحديث ، خرجت مـن كتاب انور الجندي بفوائد ومعارف لا حصر لها ، ففي كل صفيحة من كتابه الذي تبلغ صفحاته ٤٦٢ كنت اخـرج بحصيلة جديدة من المعرفة لم تقع لي في كتاب من قبل ، مما يؤكد ان انور الجنـدي ينبش الكتـب والمجـلات والصحف والمصادر نبشا دقيقا ، بل يفليها تفلية ، ويخرج من كنوزها كل مطوي ومخبيء . فقد كتبت عن الانسـة (مـي) كتابين ... وقرات كل ما كتبته هي في العربية والفرنسية والانجليزية ، وقرات كل ما ظننته وقع تحت يدي مما كتب عنها وعن اخبارها ، الى درجة أثنى عليهـا الدكتور منصور فهمي في كتابه عن « مي » والذي لفت الاديبة وداد سكاكيني في كتابها الجديد عن « مي » الذي اصدرته دار المعارف من اشهر ، ولكني مع هذا فاتني ان اطلع على ما رواه (أنور) من حكاية للدكتور شبلي شميل مع مي . فقد زار شميل منزل الاديبة مي حيث كان ابوها الصحافي « الياس زيادة » من اصدقائه فلما رأته « مي » اجفلت وقالت له : اني اخاف منك لانك تكره المرأة ، وانت عالم مادي ، وانا شاعرة روحية الميول ... فانبرى شبلي للدفاع عن نفسه ، ولم يلبث ان ارسل لها قصيـدة مـن نظمه يصور فيها حقيقة مشاعره :

الى مـن رابها منـي مقالـي   فجاءت وهـي تنفر كالغـزال

تقول : أخاف منك علـى خيال   أرى فـي آيه كـل الجمـال

ومـن انباك عـن أنـي عـدو   لجنس كـان مـرآة الرجـال

اذا مـا قمت أطوي الحب يومـا   الا تدرين انـك فـي خيالـي ؟

وفي هذا الكتاب طرائف اخـرى بعضها معروف ، وبعضها غير معروف . ومن المعروف ابيات حفني ناصف الى حافظ ابراهيم فقد وقف على قبر الامام محمد عبده ستة يرثونه .

اتذكر اذ كنا علـى القبر ستـة   نعـدد آثـار الامـام ونـندب

أبـو خطوة ولـى وقثـاه عاصم   وجـاء لعبد الرازق المـوت يطلب

فلبى وغابت بعـده شمس قاسم   وعما قليل نجـم محياي يغـرب

فلا تخشى هلكا ما حييت وان امت   فمـا انـت الا خائف تترقـب

فخاطر، وقع تحت القطار ولاتخف   ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب

وخض لحج الهيجاء أعزل آمنـا   فان المنايا منك تجري وتهـرب

وقد فطن حافظ لهذه الملاحظة فقال في حفل تكريم حفنى حين نقل للمعارف :

عمري بعمـرك رهـن   فعش اعش الف قرن !

هناك عشرات من امثال هذه اللطائـف والطرائـف والحكايات التي وقع عليها أنور الجندي فلم يضن بها على قرائه في كتابه الجديد « أعلام واصحاب أقلام » .... وفوق كل ذي علم عليـم .

القاهرة

محمد عبد الغني حسن

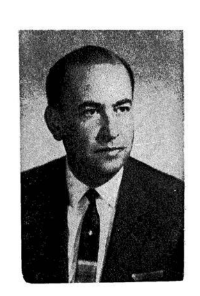
عـودة

•

فـؤاد الخشـن

•

الشويفات ـ لبنان



عادت عيناك ، وعاد السهد ولفح النار
وهيام يتفتح في قلبي ازهار
عادت أيامي آذار
والمعبـد عـاد
الشوق ... والبوح المحرور اللاهب
من ذوب الاكباد

عادت غيمات اللفهة للعينين
وعاد التيه ودمع الغربة للاهداب
وشرود المخطف الضائع
عن كل الابواب !

ماذا يعني العمر الراتب
يـا عشتار
ان لم نعشق ، ان لم نذهب في التيار
ثلـج الاعراق حضور غائب
عن كنز الامكان
ولذيذ العيش جنون رائع
يبقى ابدا في اسفار ...

عمري المفرد في الاعمار
عمقا آليت ساحياه
هجس تخط أناباه
طولا تنسج في احـلاه
للقلب الاكفان ...
وسأترك في درب الآلام صليبي
اكليل الشوك المضفور الشارب
من جرح غروبي
ارمي ميزاني المشؤوم
ادخل في ارض الصحو الهانيء والاوراد
احفر دربي ... لا التفت
للرجس الطيني المحترق
في ليل سدوم !

عادت عيناك لسكب الوجد
وعاد الذهل لليل المخمل
طفـلا يسأل
عن كل الاسرار ...
والجمر المزهر
جمر الايحاء المذرور الساطع
في ليلي الكحلي المتفتح عاد
يهمي من غيمات الارق ..
زخا .. زخا .. كالامطار .

خسرت دعوى التخلية

بقلم عبد الرحمن البيك

غادرنا مكتب المحامي ، في الساعة السابعة مساء ، لا نلوي على شيء ، كان كل شيء قد انتهى ، ولم يعد باستطاعتنا الاستعانة بوجهات نظر جديدة للقانون ، فالمحامي اخبرنا ان الدعوى قد فشلت ، وان جميع المحاولات القانونية لم تعد تجدي نفعا .. وان اخلاء اولاد خيرو عرموش من الدار الجارية بملكيتنا ، والتي سبق لهم وان اغتصبوها عنوة .. لم يعد ممكنا .

اخذنا نستعيد صور الماضي ، انا واخوتي الذين ذهلوا من هول المفاجأة ، ونحن نهبط الدرج في طريقنا الى بيتنا ، لقد تمثلنا المحامي وقد جلس خلف منصته ، على كرسي متحرك ، يدخن غليونه ويقول :

ـ ان القضية ناجحة ، وانا اتعهد لكم باخلائهم من الدار ، كما وانني اضمن عودتكم اليها .. اتركوا كل شيء على مسؤوليتي ..

وشاهدناه وقتئذ ينظر في قانون الايجارات مليا .. ثم يمج من غليونه ويردف :

ـ ها هو القانون ، انه بجانبكم ، فكل من يضع يده على عقار بطريقة غير مشروعة فانه يلزم بالتخلية .

وكان ان امسك عن الكلام ، بعد ان قرر امامنا هذه الحقيقة الدامغة، ثم انصرف الى مرجع اخر ، وخاطبنا من خلال اسنانه التي كانت تعض على الغليون :

ـ ما داموا لا يملكون عقد ايجار موقع من قبلكم وليس معهم اذن صريح او ضمني بالسكن . لهذا فان القانون يعتبر يدهم غاصبة ويلزمهم بالتخلية .

واوضح له اخ كبير لنا قائلا :

ـ نرى لزاما علينا يا حضرة الاستاذ ان نحيطكم علما بانه سبق لنا وان اقمنا دعوى تخلية مماثلة باءت بالفشل بعد ان تناوب على متابعة النظر فيها عدد من المحامين . وهنا اغمض المحامي عينيه ، كأنه يستقرىء المجهول ، ثم حك رأسه ووضع يده على ملف محشو بالاوراق وقال :

ـ سوف انصرف الى دراسة هذه الدعوى الفاشلة التي احضرتم لي صورة عنها ، وانا واثق من ان المحامين السابقين قد عالجوا دعواكم هذه بطريقة مخالفة لاحكام القانون.

وفكرنا مليا في ابعاد هذه الوعود التي بدت قريبة من الذهن ، ثم تبادلنا نظرات الاعجاب اعترافا منا بدقة ملاحظة المحامي وطول باعه في القانون ، الى أن داهمتنا احساسات سريعة بان ما تحتاج اليه قضيتنا من اساليب الدفاع متوفر في هذا الرجل الكفؤ القادر على مجابهة مثل هذا الموضوع الخطير .

وساله احد اخوتي في اللحظة التي كان فيها يمط شفته لسفلى تعبيرا عن الايضاحات التي اوردها لنا :

ـ وكيف ترى ان تقم الدعوى الآن ؟.

فرد بصوت مجلجل :

ـ سوف اطلب تخلية اولاد خيرو عرموش باعتبار يدهم غاصبة .

تلك كانت محادثة المحامي معنا ، تلك المحادثة التي كان من نتيجتها ان فوضناه باقامة دعوى على اساس قانوني جديد ، وان اسلفناه من



الاتعاب ما لا يعد ولا يحصى ، وان سخرنا جميع طاقاتنا لخدمته ، سواء في منزله بالذات ، او في مكتبه اثناء مراجعاتنا المتكررة له .

ولكن ماذا حدث بعد كل هذا . .

لقد رأيناه في اخر الامر ، يغرقنا في بحر من الاعتذارات لما آلت اليه الدعوى من فشل ذريع ... اجل وجدناه يقول لنا بصوت غير مجلجل :

ـ يؤسفني ان اخبركم بان الدعوى خسرت .. وان كل شيء قد انتهى .. وانه لا يسعني في هذا الموقف الا ان اشاركم شعوركم بهذه النهاية المؤسفة .

ـ ولكنك قلت لنا يا استاذ ، وفي هذا المكان بالذات ، ان الدعوى ناجحة ، وانك ستقيمها على اساس جديد ، وانك لن تقع بالخطأ الذي وقع فيه اسلافك من المحامين الذين عالجوا دعوانا السابقة معالجة قانونية لا تنطبق مع الواقع ..

ـ كل هذا صحيح .. ولكن لا يخفى عليكم اننا جميعا معرضون للخطأ .

ـ ولكن قضيتنا مضمونة النجاح بحكم القانون وليس بحكم تفكيرك الشخصي .. واذا كنت انت قد اخطات لسبب ما ، فما جريرتنا نحن .

ـ يكفي هذا ارجوكم .. ان القضية لم تعد تحتمل اي نقاش .. واني ارى ان تلجأوا الى التسوية الرضائية مع اولاد خيرو عرموش وهذا خير لكم .

هكذا انتهت معاتبتنا للمحامي في الساعة السابعة مساء ، بعد ان اعلمنا بان الدعوى خسرت وان كل شيء قد انتهى .

وبينما كنا نهبط الدرج رجعت بنا الذاكرة الى ذلك الماضي البعيد ، يوم ان اقترح علينا مختار محلة جامع بيس المدعو الحاج بكري مخللاتي ان نطلق يده للعمل بطريقته الخاصة من اجل تخلية الدار ، ولقد رفضنا آنذاك

خطته الشخصية احتراما منا لسيادة القانون .

وتساءل اخي :

ـ لا ادري كيف ضللنا الطريق.. فلو اننا اسندنا امر تخلية الدار الى الحاج بكري ، لكان ذلك خير لنا الف مرة من اسنادها الى هذا المحامي اللامع الذي اكتفى في النهاية بأن أبان لنا خطاه وشاركنا في الفجيعة التي حلت بنا .

ـ ومن كان يعلم ان المحامي سوف يخسر الدعوى .. ثم ان الحاج بكري مخللاتي لم يكن في وضع يساعده على تنفيذ خطته الرامية الى تخلية اولاد خيروعرموش بوسائله الخاصة .. نظرا لان معظم المساعدين في الشرطة تغيروا ولم يعد له من ركائز يستعين عليها أثناء عملياتهالتي تعد خرقا للقانون .

ووقر في اذهاننا ، ان نلجأ الى الحاج بكري للتباحث معه من اجل القيام بمحاولة جديدة لحل القضية المستعصية ، فالوضع الذي انتهينا اليه بين ابناء الحي ، والافلاس غير المتوقع الذي لحق بقضيتنا يبرران بلا شك اختيارنا طريقة استيفاء الحق بالذات .

ولقد عادت بنا الذاكرة ، ونحن بصدد اتخاذ القرار المتضمن العودة الى مشروع الحاج بكري الى تلك الاعوام الخضراء التي اينعت فيها ثمار النضال ضد سلطات الانتداب .. فالحاج بكري مخللاتي هو من الرواد الاوائل الذين رفعوا لواء ذلك النضال والذين ساهموا في بناء صرح الاستقلال ، الا ان هذا الرجل سرعان ما تحول من بطل وطني الى مختار حارة يقضي بين الاهالي في شؤونهم الخاصة بعد ان نالت البلاد استقلالها ، ولقد ظل الامر كذلك حتى تاريخ صدور القانون المدني . والعقوبات والتجارة والبينات اذ حدث في تلك المرحلة تصادم فكري ادى الى انصراف الناس عن الحاج بكري نتيجة للاقبال المنقطع النظير على القوانين ... وكان من نتائج ذلك ان حيل بين (باكورة) الحاج بكري وبين قضائها في امر من الامور التي كانت تقضي فيها ، مما عرض كبرياءه للمذلة في مخافر الشرطة عدة مرات ، عندما صودرت منه بتهمة مزاحمتها نصوص قانون العقوبات .

في تلك الايام التي شهدت التحول الاجتماعي ، قال لنا الحاج بكري والغصة تخنق بلعومه :

ـ مهما تكن الاحوال الجديدة .. فانا اقول لكم انني مستعد ، انني مستعد ان اقلب على اولاد خيرو عرموش من سطح بيت الحاج سعيد الخضري في الليل ، فالقي في قلوبهم الرعب ، فهم جبناء ، ومن ثم اعمل فيهم (باكورتي) وافتح لكم باب الدار .

كان ذلك ما قاله لنا الحاج بكري يوم آثرنا ان تحل القضية في ظل القانون .. لقد ادرنا له ظهورنا ، والتفتنا الى بريق التنظيمات الجديدة معتمدين في ذلك راي المتنورين من أهل الحارة ، فكان ما كان من وعود ومماطلات وتسويفات ادت بالنتيجة الى سقوط الدعوى مع بقاء الحق معلقا .

وكان الحاج بكري قد اتخذ لنفسه مكان اقامة في هيكل سيارة نقل ركاب كبيرة ملقاة في الخندق عائدة الى عمر قجاقجي ، وكنا اثناء زياراتنا المتكررة له للمؤانسة والمجالسة ، يسألنا عن المراحل التي وصلت اليها دعوى التخلية .. وكنا نراه يبدي من الاهتمام والحماسة لهذه القضية اكثر مما كان يبديه المحامون الذين تعاقبوا على متابعتها وكأنهم قطار .

ولقد قال لنا ذات مرة «لن تجدوا من المحامين الا الوعود البراقة ، ولن تجدوا من المحاكم الا التطويل واحتباس القضية في الملفات ، وسوف ترون ان قولي صحيح » .

دلفنا في زقاق الولي ، ونحن تحت تأثير كابوس ذلك الماضي ، الحافل بشتى انواع المواقف التي وقفها الحاج بكري من اهالي المحلة ، فحز في قلوبنا ان يصير الى هذه النهاية التي لا تليق بخدماته الجلى ، فازداد انفعالنا ، واخذت الندامة تنهش قلوبنا بعد ان تجسدت في انظارنا اخطاء الماضي واجمعنا كلمتنا على انه ينبغي للحاج بكري ان يستعيد كرامته مهما كلف الامر كي يشعر بالثقة التي افتقدها منذ ان تحول عنه الناس .

دخلنا مسكنه بعد ان نزلنا درجات الخندق فاستقبلتنا امراة عجوز ذات وجه مفلق وثياب خلقة ظهرت الينا من احدى زوايا هيكل السيارة المعتمة وسألتنا :

ـ ماذا تريدون ؟ ..

ـ نريد ان نقابل الحاج بكري .. فنحن اصدقاؤه .

واستدارت في استرخاء الى الوراء ثم اشارت بيدها الراجفة الى اخر المكان .. كان هناك ستارة من الخيش مرتقة باقمشة مختلفة الالوان ، ينبعث من خلفها ضوء مصباح كاز . ينسكب وئيدا على رجلين باردتين باديتين من خلف الستارة بدون غطاء .

ـ اهو نائم .

ـ بل هو مريض .. ونائم ..

وبدأنا نتجه صوب الستارة المزركشة ونحن نتأمل معالم هذا المسكن الوضيع ... وهمست في اذن اخي :

ـ ان هذا الوضع يفتت الكبد .. لنعرض عليه مسألة نقله الى دار اخرى ..

ـ اعتقد انه لن يقبل ...

وهمس اخ اخر ..

ـ اذا هو قام بتنفيذ خطته السابقة ونجح في تخلية اولاد خيرو عرموش من دارنا فانا اقترح ان نمنحه المربع الفوقاني ..

ـ هذا اقتراح انساني ... وانا اتطوع لخدمته .

السجان

اغضب ! فقد ياسو الجرا ... ح تفجر البركان
اغضب ! لاتقنع غلتي ... بتحرق السجان
اغضب ! فاني قد الف ... ت مرارة الاذعان
والفت ذاك الصمت يك ... نف بؤرة الطغيان

فهياجك المجنون يم ... نحني هدوءا عبقريا
وسعيرك المحموم يس ... كب في وجدا شاعريا
فاحس ان جوانحي ... تمحو شعورا بربريا
وتحل في مكانه ... المًا مقيما سرمديا

اغضب ... فثورتك العنيـ ... فة قد تسري بعض ما بي
ووقوفك العريان قد ... يخفي به ظل العذاب
فاحس ان الحقد يطـ ... وي في غلالات السراب
واذوب في الرؤيا واحـ ... سو نشوتي عبر المصاب

دمشق — سلافة العامري

ـ هيا .. لنوقظه ولنباشر معه المباحثات ...

وحالت المراة العجوز بيننا وبين لمسه زاعمة انه مستغرق في نوم هانىء بعد يومين من معاناته لآلام مبرحة .

وسألنا العجوز :

ـ اذن هل ترين ان نحضر له طبيبا .

فلم تحر جوابا .. وانما انصرفت الى ركن في المكان وجلست القرفصاء .. ثم اشعلت سيكارة وراحت تحدق في الظلام .

واهاب بنا اخي :

ـ هيا اسرعوا .. واحضروا الدكتور حمزة من عيادته في الحارة .. الموقف يحتاج الى اجراء سريع .

وانحنى يلمس قدمي الحاج بكري العاريتين ، ثم شد فوقهما ذلك الرداء الرقيق الملتحف به ، ومع ذلك فقد بقيتا ظاهرتين .

لم تكن المراة العجوز لتفصح عن شيء .. وانما كانت ترسل ابصارها عبر فتحة هيكل السيارة فتصطدم بظلمة حالكة .. وكان هطول قطرات المطر فوق سطح هيكل السيارة قد بدأ يقطع حبل السكون العميق ويحدث في الوقت ذاته شعورا يثير الذكرى والاشجان ..

حضر الطبيب على جناح السرعة .. وانصت الى ضربات قلب الحاج بكري .. ثم جعل يحرك يديه ويضرب على خديه ويفحص داخل اجفان عينيه . وكان ان انكفأنا نحن لا نقوى على التبصر في وجه الحاج بكري الذي يذكرنا ابدا بأبوته لنا ... واجهش بعضنا بالبكاء .. بينما انصرف الاخر .. يقرأ ما تخطه يد الطبيب على ورقة رسمية .

« لقد توفي الحاج بكري مخللاتي باسترخاء القلب ... » .

وضربنا ايدينا تألما .. وتوزعنا في المكان المظلم الجوانب نستخفي من بعضنا ، وانحدرت الدموع ، وازداد هطول المطر على سطح هيكل السيارة فاحدث قرقعة تشبه قرع الطبول الداعية الى الانتباه ...

مات الحاج بكري مخللاتي دون ان يشعر بموته احد .. حتى هذه العجوز التي لم تعرف ما هو دورها في هذا المكان ، لم تكن تدري أنه مات .. ولقد ظلت في جلستها لا تريم ، مسهمة في رقعة الظلام البادية من فتحة هيكل السيارة على الرغم مما حدث بيننا من جلبة ونحيب .

وترامى الى مسامعنا في الخارج عصف الرياح ، واحسسنا بها تتخلل الى الداخل فيرتجف لها لسان (فتيلة) الكاز ، وتتأرجح ظلالنا المنعكسة على النوافذ المسدودة بورق المقوى ... ثم ما لبث النور الخافت الذي كان يضيء ذلك المكان ان اختفى .. ولم نعد نرى الحاج بكري ...

حلب — عبد الرحمن البيك

كتمان فاضح

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أحببتها في حذر صامت ... فلم أقل اني بها مغرم
ولم أجل عيني في وجهها ... قائلة ما لا يقول الفم
ولم أتابع خطوها ان مضت ... لتفهم العذراء ما تفهم
أكتم ما ينفر من حبها ... فتختفي في مهجتي الاسهم
أمر بالدار مرور امرىء ... ليس له فيها هوى مضرم
أسرع لا ألحظ شباكها ... وان تقف ليلى به تبسم
يبصرها قلبي ولكنما ... عيني عن رؤيتها تحجم
فان تلح سائرة مرة ... عوقت من خطوي فما أقدم

يزورها أهلي وتسعى لنا ... كنفحة من روضة تنسم
يكرمها القوم بألطافهم ... من ذا يراها ثم لا يكرم ؟
وأنتحي وحدي ولكنني ... بوصلها في خلوتي أحلم
تسال عني فيقال امرؤ ... للدرس والتحصيل مستسلم
سؤالها يشفي جراح الهوى ... ملطفا كأنه بلسم !
استشعر النشوة في خاطري ... وما بها من أحد يعلم
وربما صاحبت أهلي لها ... اذا تأتى طارىء ملزم
اذهب مضطرا الى بيتها ... مستحييا أن يكشف المبهم
في لفظة تنبو فيذكو اللظى ... أو نظرة توحي بما يوصم
واأسفا للحب لا ألتقي ... بغادتي الا اذا ارغم

اجلس لا عن رغب مجلسا ... أملؤه غشا بما أزعم
أخدع فيه الناس عن صبوتي ... مخاتلا كأنني أرقم
ان حدثت ليلى برأي لها ... عارضته في شدة تفحم
أو قدمت بعض تحياتها ... صفت اعتذارا فيه ما يؤلم
أو أرسلت نكتتها حلوة ... تجلو عن الارواح ما يسئم
امسكت لم أضحك وغيري انبرى ... يلتذ رياها ويستطعم
وربما قرظت من غيرها ... حديثها وهو ضنى يسقم
فان رنت ناقمة لم أجب ... كأنني لم أدر ما تنقم
أخاطب الجلاس من دونها ... وقلبها من غيظه مفعم
فان دنا السير وصافحتها ... مددت كفي وفمي أبكم

وبت ليلي ثائرا اشتكي ... جنايتي كأنني مجرم
ينفجر البركان في خافقي ... ملتهبا يصرخ فيه الدم
اياك ان تسأل عن محنتي ... فما لها وصف فتستفهم

وليلة خفت الى منزلي ... وكنت وحدي ، فهي لي توءم
فسلمت وانهار بي موقفي ... كأن جسمي لهب مضرم
واضطرب اللفظ فلم يستبن ... كأنني في حصري أعجم
فابتسمت اذ لمست موقفا ... مؤثرا يلهم ما يلهم
غريزة العذراء اوحت لها ... صريحة اني بها مغرم
فاندفعت تظهر مكنونها ... كما حكته الشاعر المعلم
لست طبيعيا معي يا فتى ... تخبرني عيناك ما تكتم
تظلم يا بن الخوف نفسا غدت ... تلتذ طعم الصاب اذ تظلم
لو كنت عاديا معي لم تكن ... تجبه آرائي بما يصدم
لو كنت عاديا معي لم تكن ... تعتزل الناس اذا أقدم
يجيء اهلوك الينا وما ... يدنيك الا قدر مبرم
لو كنت عاديا معي لم تكن ... تجانب البيت وتستعصم

دع ذا ، وقل ما رعدة ارعشت ... كفيك واهتز بها المعصم ؟
وحيرة في عينك استبهمت ... كنظرة الشارد اذ يسهم
ترمقني منفعلا هكذا ... اي حنين ذائب تكظم ؟
لسانك الموهوب قد عاقه ... في حضرتي الآن هوى ملجم
لست طبيعيا معي يا فتى ... عندي برهاني فما أرجم
تمويهك الزائف لم يلهني ... اقسم لم أخدع به اقسم
علمت ان البيت خال فلم ... اصبر ، ووافيتك أستعلم
أعلن حبي لك في جرأة ... كي أحسم الداء فلا يعظم
ثم رنت تصغي الى رده ... فرد عنه دمعه المسجم
فانطلقت تعدو الى بيتها ... وغادرته سادرا يحلم

وانفرج الليل له عن مدى ... واتاه مسرورا بما ينعم
ابدت هواها ففدا جازما ... وافرحة العاشق اذ يجزم
فرنح الاعطاف من تيهه ... كعاهل في قومه يحكم
وأشرقت دنياه في بهجة ... فكل شيء حوله يبسم
واذكر الامس وكم لاعه ... بالامس من داهية تقصم
لا تستر الحب فأستاره ... شفافة ترسم ما ترسم
كالزهر تخفيه فيبدو له ... عطر ، وعطر الحب لا يكتم

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

عبدالحميد شومان - الدكتور يعقوب الخوري - كامل السوافيري

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ عبد الحميد شومان

كانت الحياة الاقتصادية في فلسطين ، خلال العهدين العثماني والبريطاني ، حياة بدائية تتسم بطابعين بارزين :

الاول ــ زراعة الحمضيات على نطاق محدود ، وتصديرها الى بريطانيا وسواها من الاقطار الاوروبية .

الثاني ــ صناعة التحف التذكارية من خشب الزيتون والاصداف المستوردة من شواطىء البحر الاحمر .

وفي سنة ١٩٢٢ فوضت عصبة الامم الى بريطانيا الانتداب على فلسطين ، واخذت تضع هذا الجزء الغالي في ظروف اقتصادية صعبة لتحكم الطوق على العربي الفلسطيني ، وتحمله كرها على بيع الارض ومبارحة فلسطين تمهيدا لتهويدها وتقديمها لقمة سائغة « لليهودي التائه ! » .

وبينما كان عرب فلسطين يبلون المصائب والويلات من « حليف » الامس ، ويرزحون تحت مظالمه ، كانت المصارف والشركات اليهودية تؤسس في طول البلاد وعرضها ، وتنشىء لها فروعا في المدن الفلسطينية ، وتغري التاجر والمزارع العربيين بالتعامل معها ، شريطة ان يضع المزارع ارضه « رهنا » لقاء المال الذي يستلفه بفائدة فاحشة جدا .

في هذا الظرف العصيب أطل من المهجر وجه عصامي جبار أنبته ريف فلسطين ، هو السيد عبد الحميد شومان مؤسس « البنك العربي » بالقدس الذي عقد العزم على انقاذ مواطنيه من تعسف « شيلوخ » ... والتفريج عليهم بالمال الذي جناه في مهجره السحيق بعرق جبينه ! .

وتنويها باليد البيضاء التي اسبغها هذا العملاق الفلسطيني أضع بين يديك سيرة حياته وسيرة المؤسسة الجبارة التي اقامها في بيت المقدس ، انقاذا للاقتصاد العربي المفلوج بتأثير من الانتداب والصهيونية ! .

هربا من قسوة « خطيب » القرية ، وخلاصا من جور عصاه ... هجر الصبي « عبد الحميد » « الكتاب » قبل أن يتم دراسته الاولية ، عمل « فاعلا » في عمارة القدس الكبرى ، ومنها النوتردام والمستشفى الافرنسي .

وفي الاسبوع الاول من عمله كان اجره اليومي قرشا ونصف القرش (بالعملة التركية) ،

وفي الاسبوع الثاني بلغ أجره اليومي خمسة قروش ،

وفي الاسبوع الثالث صعد اجره اليومي الى عشرة قروش جزاء لنشاطه ،

وليوفر هذا الصبي الطموح عيشا كريما لوالديه وذويه اشترى جملا ، وعمره اثنا عشر عاما ، وشارك شقيقيه في تكسير الحجارة من مقالع قريته « بيت حنينا » ونقلها الى عمارات القدس . وبعد فترة قصيرة حذق دق الحجارة (نحتها) اذ تدر عليه ربحا اكثر من نقل الحجارة على ظهر جمله ، وراح يزاول نحتها في القدس ورام الله .

وفي ربيع عام ١٩١١ بينما كان « عبد الحميد » يدق الحجارة لاحدى البنايات في رام الله ، مر به مهاجر عربي من اسرة « حشمه » عاد من الولايات المتحدة لزيارة اهله ، وبعد السلام استطلعه « عبد الحميد » انباء العمل في امريكا ومدى الارباح التي يجنيها المهاجر الى تلك البلاد ، فزين له المغترب العربي الارباح الطائلة واغراه بالسفر الى تلك الربوع ! .

عاد الصبي الطموح الى قريته مصمما على الهجرة ، وشرع في المعاملة اللازمة . وبعد ان احرز « هوية » تخوله السفر الى امريكا ، ودع اخويه في صيف عام ١٩١١ وبارح قريته خفية عن والدته ، وامتطى باخرة من ميناء يافا ، حملته الى مرسيليا ومنها انتقل الى باخرة اقلته الى نيويورك .

وبعد مشقات عاناها الصبي المهاجر بلغ نيويورك وعمل بائعا متجولا في النهار وكان في الليل يعكف على تعلم القراءة والكتابة والحساب باللغتين العربية والانكليزية .

وما ان امضى ثلاث سنوات في دار هجرته حتى أسفر جده عن عشرين الف دولار جناها بكد يمينه ، فاسس محلا تجاريا في « بلتمور » واستطاع بذكائه ومضاء عزيمته ان يسجل حسابات متجره بخط يده ، ويصيب نجاحا في أعماله .

ونتيجة للاستقامة التي تميز بها هذا العصامي الامين فقد لمع نجمه في افق الجالية العربية ، وأقدم على تأسيس معمل للحرير في شارع « فيفث أفنيو » بنيويورك ، وشرع في صنع ملابس للسيدات من نتاج معمله .

وخلال وجوده في المهجر تناهى اليه ان الاقتصادي المرحوم طلعت حرب باشا اسس مصرفا في القاهرة اسماه « بنك مصر » وذلك سنة ١٩٢٠. فخطر له تأسيس بنك في بيت المقدس باسم « البنك المصري الفلسطيني » وبرأسمال فلسطيني مصري ، فراسل طلعت حرب بهذا الصدد وابدى استعدادا للاسهام في راس مال البنك المقترح .

وبعد هجرة دامت ثمانية عشر عاما رجع « عبد الحميد » الى وطنه سنة ١٩٢٩ ، وفي طريقه الى فلسطين زار طلعت حرب في « بنك مصر » بالقاهرة وكاشفه بالحلم الذي يراوده ، ثم استانف سفره الى بلاده وأخذ يدرس الظرف الاقتصادي الذي يسودها ، فعقد العزم على تأسيس بنك عربي يصون لامته كرامتها ، ويدعم اقتصادها ، ويحول دون استجدائها المال من المصارف البريطانية واليهودية .

وحالما عرف الكثيرون من الموسرين فكرة « البنك المصري الفلسطيني » اقبلوا على الاكتتاب بخمسة وثلاثين الف جنيه فلسطيني، فكتب « شومان » بهذا الحماس القومي الى طلعت حرب ، لكن قبل اتمام المعاملات الرسمية اندلعت نار الثورة العارمة في فلسطين سنة ١٩٢٩ وكان وقودها ١١٦ شهيدا عربيا و ٢٢٢ جريحا بينما القتلى من اعدائنا ١٣٣ والجرحى ٣٣٩ ، وهنا احجم طلعت حرب عن دعم المشروع بالمال ريثما ينجلي الموقف في فلسطين ، لكن العملاق الفلسطيني مضى قدما في تحقيق الحلم الذي راوده ، وصمم على تأسيس « البنك العربي » بأموال فلسطينية ، واعلم طلعت باشا بنيته هذه وبان في وسعه ان يساهم في « البنك العربي » متى شاء ، فبارك طلعت الاقتراح ووعد بالمساهمة في البنك .

ولما تناهت انباء هذه المفاوضات الى المكتتبين خشوا اخفاق المشروع لانسحاب طلعت حرب وانعدام الفنيين الماليين في فلسطين في

ذلك العهد ، فقلقوا على أموالهم ، وقرروا الانسحاب من الميدان باستثناء « عبد الحميد » الذي صمم على تأسيس « البنك العربي » بماله الخاص .

كان قانون الشركات في فلسطين يقضي بوجود سبعة أشخاص كحد ادنى لتأسيس اي مصرف أو أية شركة محدودة ، فبحث « عبدالحميد » عن ستة اشخاص يساهمون معه بأية اسهم يشاؤونها ، فلم يجد من يناصره سوى المغفور له أحمد حلمي عبد الباقي والمرحوم فياض الخضرا .

واستكمالا للمعاملة اضطر الى اضافة اسماء بعد أقاربه ، وكان عدد الاسهم التأسيسية (٢٧٥٠) سهما ، قيمة كل سهم أربعة جنيهات فلسطينية .

وفي الحادي والعشرين من أيار ١٩٣٠ تم تسجيل « البنك العربي » في بيت المقدس وباشر عمله في ١٤ تموز من هذا العام ، وكان الشعار الذي اختاره « عبد الحميد » خارطة العالم العربي تزينها « النخلة » وهي مصدر رئيسي للغذاء في جزيرة العرب ، وجعل الى يمين الخارطة « الحصان » وهو الوسيلة التي ساعدت العرب في فتح الفتوح ، والى يسارها « الجمل » سفينة الصحراء وصلة الوصل بين الاقطار العربية والاسلامية في سالف الايام .

وبجلاء القوات البريطانية عن فلسطين فجأة في ربيع ١٩٤٨ تجدد الصراع بين العرب واليهود ، وبلغت الاضطرابات اوجها ، وتحققت المؤامرة الصهيونية بالاستيلاء على فلسطين وتنفيذ وعد بلفور وتشريد مليون عربي من فلسطين !

وحفاظا على هذه المؤسسة القومية قررت الادارة العامة للبنك العربي ان تنتقل الى عمان (عاصمة الاردن) لتكون قريبة من الفلسطينيين المشردين ، ولتظل على صلة بفروع « البنك العربي » الموجودة خارج فلسطين والاردن .

بدأ «البنكالعربي» خدمتهللاقتصاد منذ تأسيسه سنة١٩٣٠ وما زال مثابرا عليها حتى أصبح بفروعه الاربعين يخدم (١٦) قطرا في آسيا وافريقيا واصبح رأسماله خمسة ملايين ونصف المليون من الدنانير وبلغ احتياطيه سبعة ملايين و (٧٠٤٦٧٠) دينارا .

وبالرغم من الهزات المالية التي أصابت العشرات من المصارف الغربية والعربية فقد ظل « البنك العربي » راسخ الدعائم لانه أرسي على قواعد سليمة كفلت له البقاء من عصف الرياح ، وهبوب الاعاصير ! .

في الستينات كتب صحفي امريكي مقالا في مجلة « لايف » عن « عبد الحميد شومان » هذا الجبار الاقتصادي ، أشاد فيه بعصاميته، وختمه بهذه العبارة :

« From a stone cutter to the president of the biggest bank in the middle east » .

وترجمتها : « من حجار الى رئيس اكبر مؤسسة مصرفية في الشرق الاوسط ! » .

نموذج من كتابته : « يسعدني ان أقدم لكم رسالتي هذه في مستهل تقرير مجلس الادارة عن مؤسستكم لسنة ١٩٦٨ ، وكم كنت اتمنى لو ان الاجزاء المغتصبة من وطنناالعربي قد تحرر من براثن احتلال العدو البغيض ، ولكن مع الاسف الشديد ما زال الصهاينة يحتلون فلسطين العزيزة بكاملها ، وسيناء ومرتفعات الجولان ، وما زالت مقدساتنا الاسلامية والمسيحية ترزح تحت وطأة احتلالهم ، كما ان نيات العدو التوسعية اصبحت واضحة ، والخطر الصهيوني لا يقتصر على الاراضي المحتلة وما جاورها وانما يهدد الامة العربية بأسرها . لذلك فلا سبيل لامتنا الا ان توحد صفوفها وتركز جهودها من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي ، وتعمل يدا واحدة وتتعاون على جميع المستويات مضحية بالمال والانفس لتتمكن من درء الخطر عن كيانها ومن استرداد مقدساتها واراضيها كاملة .

لقد مرت منطقتنا خاصة والعالم عامة خلال عام ١٩٦٨ بأزمات سياسية ومالية واقتصادية عديدة ، وعلى الرغم من تلك الازمات فان الميزانية العامة لمؤسستكم المرفقة بتقرير مجلس الادارة لسنة ١٩٦٨ تظهر لكم والحمد لله زيادة في الودائع والاعتمادات المستندية والكفالات والحسابات المدينة للعملاء والايرادات وغيرها من البنود ، وذلك نتيجة لازدياد نشاط مؤسستكم وتوسعها في تمويل المشروعات الانمائية .

وبالختام اسأل الله عز وجل ان يأخذ بيدنا جميعا لنستمر في السير قدما بمؤسستكم العربية الصميمة لتؤدي رسالتها التي أسست من أجلها لخدمة امتنا العربية في جميع أقطارها وامصارها بأمانة واخلاص ! » .

٢ ـ الدكتور يعقوب الخوري

هام بوطنه الاول « فلسطين » منذ شب عن الطوق وعرف ان له وطنا تألبت عليه قوى الشر والطغيان ، وجند طاقاته لشرح الظلامة التي أصابت اظلم قضية عرفها التاريخ ، وهجر الطب الذي اختاره مهنة ... ليعمل من أجل هناء « فلسطين » التي صرعها الاستعمار ، وجرعها الزقوم والغسلين ، وظل يردد كلمة ابن مصر البار « مصطفى كامل » :

« ان من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة .. يبقى طول حياته ... سقيم العقيدة ، مزعزع الوجدان ! » .

في عام ١٩١٥ ولد « يعقوب » بمدينة الناصرة بفلسطين لوجود والده جريس الخوري معلما عهد ذاك في المدرسة الروسية وأنهى فيها بعض دراسته الابتدائية ، وبعد ان وضعت الحرب الكبرى الاولى أوزارها انتقل مع والده وافراد اسرته الى « بيت ساحور » جارة « بيت لحم » بحكم تعيين والده مديرا للمدرسة الارثوذكسية .

وبعد ان سيم والده كاهنا في القدس قصد الوالد مدينة طنطا في الجمهوريةالعربيةالمتحدة ، ليكون راعيا للطائفة العربية الارثوذكسية، وفيها أكمل « يعقوب » جزءا من دراسته الابتدائية ودراسته الثانوية في كلية الفرير بطنطا . وفي عام ١٩٢٩ ارسله والده الى الجامعة اليسوعية في بيروت ودخل كلية الطب ودرس طب الاسنان ، وفي عام ١٩٣٥ أحرز « الدكتوراه » وعاد الى القاهرة ، حيث كان والده قد نقل اليها ليتولى شؤون الطائفة العربية الارثوذكسية ، واسس فيها عيادة ، لكن العذاب الذي أحاق ببلده المظلوم « فلسطين » ظل شغله الشاغل .

وليؤدي الدكتور خوري رسالته الى وطنه المنكوب ، وشعبه المغلوب ، دخل القطاع العام واسس في القاهرة « النادي العربي الفلسطيني » للتعريف بالقضية الفلسطينية والدفاع عنها ، وانتخب سكرتيرا فرنيسا لهذا النادي ، وبادر مع فريق من العاملين في الحقل العربي بالقاهرة أمثال عبد الرحمن عزام والدكتور منصور فهمي وعبد الرحمن الجليلي واسعد داغر الى تأسيس « جمعية الوحدة العربية » واستهدف لرقابة وعيون بعض المسؤولين في ذلك العهد ، والتحق بكلية الصحافة في الجامعة الاميركية بالقاهرة وشرع ينشر المقالات القومية في صحف « كوكب الشرق » و « المقطم » و «الكتلة» و « الشورى » و « الاخاء » و « القاهرة » من صحف مصر و «صوت الشعب» و « فلسطين » من صحف فلسطين و « لسان الحال » من صحف بيروت .

وفي عام ١٩٤٠ عاد والده الايكونوتس جريس الخوري الى فلسطين واستقر مع اسرته في بيت لحم وبعد عام لحق الدكتور خوري بأفراد العائلة واقبل على الحركة الوطنية وتعاون مع فئة من الشباب العربي الواعي امثال فريد السعد والدكتور عمر الخليل والدكتور يوسف يحيى والدكتور صلاح عنبتاوي وكامل عبد الرحمن وسامي طه ومحمد البرادعي العباسي وفؤاد عزة الطباع وغيرهم ، وعمل معهم في

صمت وهدوء وألقى محاضرات عن رسالة الصحافة القومية في كبريات المدن الفلسطينية .

وبعد قيام جامعة الدول العربية في ٢٢ مارس ١٩٤٥ دعي الدكتور الخوري للعمل فيها ، وانيطت به شؤون الدعاية والنشر ، وسافر الى باريس في مهمة قومية ودرس الصحافة في جامعة باريس ، وحصل على دبلوم في الصحافة وعلى دبلومين في الدراسات الدولية العليا .

واشباعا لطموحه التحق بكلية الحقوق في جامعة السوربون وأمضى فيها سنة واحدة .

وفي عام ١٩٤٧ انتخب عضوا في الوفد الفلسطيني الذي زار فرنسا وبلجيكا وايطاليا والفاتيكان ودعا الى انصاف عرب فلسطين واتصل مع أعضاء الوفد بالهيئات والمنظمات الرسمية .

وبعد ان ادى اعضاء الوفد العربي الفلسطيني مهمتهم الوطنية عاد الدكتور الخوري الى باريس واسس فيها « مكتب فلسطين » واختاره المسؤولون في الهيئة العربية العليا رئيسا له .

وباعلان قرار تقسيم فلسطين (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) تغيرت الاوضاع السياسية فالغت الهيئة العربية العليا المكاتب العربية التي أسستها في امهات المدن الاوروبية وعاد الدكتور الخوري الى فلسطين ليعمل مع اخوانه العاملين في الحقل الوطني . وفي عام ١٩٤٨ عاد الى باريس مع الوفد العربي الفلسطيني لحضور الدورة الثالثة التي عقدتها الامم المتحدة في العاصمة الفرنسية لمناقشة التقرير الذي قدمه الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة ، وفي عام ١٩٤٩ عاد الى القاهرة معارا من الجامعة العربية ليعمل مع الهيئة العربية العليا (وكان مقرها القاهرة) وعهد اليه بشؤون الدعاية والنشر ، وبعد حين عاد الى الادارة السياسية في الجامعة العربية واسندت له الشؤون الخاصة بفلسطين .

وبعد انشاء « ادارة فلسطين » في الجامعة العربية عام ١٩٥٤ نقل اليها وفي عام ١٩٥٩ عين مديرا لادارة فلسطين بالوكالة وفي عام ١٩٦٠ عين مديرا اصيلا . وفي مستهل عام ١٩٦٩ عين مديرا للشؤون الصحية في جامعة الدول العربية ، ومثل الامانة العامة لجامعة الدول العربية في كثير من المؤتمرات التي عقدت وتعقد في نطاق الجامعة واعد الكثير من الابحاث لاسيما في القضية العربية الفلسطينية .

آثاره القلمية : نشر الدكتور الخوري عشرات المقالات بالعربية والفرنسية وعالج القصة القصيرة وزود الخزانة السياسية بالآثار القلمية التالية :

١ — La Palestine devant le monde (بالفرنسية) وترجمته « فلسطين امام العالم » (١٩٥٣)
٢ — اللاجئون الفلسطينيون وقرارات الامم المتحدة (١٩٥٥)
٣ — أملاك العرب وأموالهم المجمدة في فلسطين المحتلة (١٩٥٥)
٤ — حقوق الانسان في فلسطين المحتلة (١٩٦٨)
٥ — المزاعم الاسرائيلية عن أوضاع اليهود في البلاد العربية (بالفرنسية) .
٦ — حصاد الربيع .

نموذج من نثره : « لم يشهد العالم ، في تاريخه الحديث ، بعد ان نفذت الى أعماق الفكر البشري أضواء العلم ، وما حققه التطور الانساني ابتداء من الثورة الفرنسية ، نتيجة لجهود المفكرين الذين قادوا العالم من الظلام الفكري ، والظلم السياسي ، والاستبداد الاجتماعي ، الى طريق الحرية والنور ، في عالم يسوده القانون على أساس من الحق والعدل والمساواة ، اعترافا بحق الانسان والمواطن في السعادة والطمأنينة والاستقرار !

لم يشهد العالم — في العشرين سنة التي انقضت على اصدار الاعلان العالمي لحقوق الانسان — من هو اكثر تحديا من اسرائيل للمواثيق الدولية ، واستهتارا بالمثل الخلقية ، واهدارا للقيم الروحية ، وتدنيسا للمقدسات ، واستباحة للحرمات !

لم يشهد العالم ظلما اكثر فظاعة ، واشد قسوة وبشاعة ، او ما يقرب من فظاعته وقسوته مما احاق بأهل فلسطين ووقع عليهم ! .

ومن المؤسف ان يتم انتهاك شرعة الحقوق الانسانية على هذا النحو المؤلم في وقت يحتفل فيه العالم بسنة حقوق الانسان . لقد رأينا كثيرا من حوادث السطو والاجرام تتوقف ويكف اصحابها عن اقترافها بمناسبة قومية سعيدة او بمناسبات دينية بينما نجد اسرائيل ، وهي عضو في منظمة الامم المتحدة التي أصدرت اعلان حقوق الانسان تنتهك أولى مبادىء الحريات والحقوق التي كفلها الاعلان العالمي حفاظا على الكرامة المتأصلة في جميع اعضاء المجتمع البشري وعلى حقوقهم الاساسية الثابتة على أرضهم وفي بيوتهم واملاكهم .

لقد جعلت اسرائيل من المناطق العربية مجتمعا فاقد الحرية الانسانية والقانونية ، تسوده القوة والاضطهاد ويحكمه الظلم والارهاب.

ان ما تمارسه اسرائيل في المنطقة المحتلة في الوقت الذي يحتفل فيه العالم باضاءة الشعلة التي تنير طريق العدل والحرية والكرامة الانسانية يعتبر تحديا لابسط المواثيق الدولية واعلان حقوق الانسان والقيم الروحية والخلقية ، ويعرض الاسس والسلام والطمأنينة للخطر والاضطراب .

ان اسرائيل لم تكتف بحرمان الشعب الفلسطيني من نعمة الحياة في وطنه ، بل أخذت تضيق الخناق عليه ، محاولة حرمانه من حق الدفاع عن نفسه وحريته وكرامته ، دون احترام او مراعاة لما كفلته القوانين والاتفاقات الدولية من حقوق .

ان تناسي هذه الحقوق وازدراءها من قبل اسرائيل قد أفضيا الى اعمال همجية آذت الضمير الانساني ، وتمثلت في العديد من حوادث قتل وتعذيب اهل البلاد الشرعيين في المنطقة المحتلة ومصادرة حرياتهم ووضعهم في حالة دائمة من القلق والخوف ، وجعلهم غير آمنين على املاكهم وتدمير بيوتهم وترويعهم في السجون وتعذيبهم في المعتقلات ، وتعرض ابنائهم وذويهم للمخاطر ، واستباحة حرمات منازلهم والتنكيل بهم وتشريد الكثيرين منهم وابعاد ونفي ذوي الفكر والرأي ، الامر الذي يدل دلالة واضحة على تأصل النزعة العنصرية في الحركة الصهيونية وغرستها اسرائيل ! » .

٣ — كامل السوافيري

ولد « كامل » في قرية « السوافير » (بلواء غزة) سنة ١٩١٧ واليها انتسب وفي مدرستها الابتدائية تلقى دروسه الاولى في اولى مراحلها ، وقد زوده المرحوم والده — وكان من علماء الازهر الشريف — بقسط وافر من علوم الدين واللغة العربية ، ثم ارسله الى الازهر حيث امضى فترة في رحابه حيث انهى علومه الابتدائية والثانوية . وفي سنة ١٩٣٣ حملته ظروف قاهرة على العودة لفلسطين قبل ان ينهي دراسته العالية.

وبعد اوبته الى فلسطين عينه المجلس الاسلامي الاعلى واعظا لقضاء الرملة ، وعندما اندلعت نار الثورة في فلسطين سنة ١٩٣٦ اسهم بقلمه ولسانه في شبوب لظاها ، وخط في تاريخها صفحات مشرقة وضيئة .

وقابلت السلطة البريطانية نصرة وطنه بالسخط والحذر، ففصلته عن وظيفته في اعقاب سنة ١٩٣٧ وقيدت حريته بأن طاردته بلا رحمة ، الامر الذي حمله على اللجوء لمصر سنة ١٩٣٩ . وبعد ان تعذرت عودته الى فلسطين، بسبب تتابع الاحداث ونشوب الحرب العالمية الثانية ، اغتنم فرصة لجوئه الى مصر فالتحق بكلية « دار العلوم » بالقاهرة ، استكمالا لدراسته ، وامضى فيها اربع سنوات احرز في نهايتها ليسانس في الآداب في سنة ١٩٤٥ ، وانضم الى معهد التربية العالي للمعلمين وقضى فيه سنتين ، وقد حصل في نهايتهما على دبلوم في التربية وعلم النفس عام ١٩٤٧ ، واختارته وزارة المعارف العمومية المصرية مدرسا للغة العربية في احدى ثانويات القاهرة ، وما زال يمارس التعليم الى

يومنا هذا .

وفي المأساة الفلسطينية التي حدثت سنة ١٩٤٨ أعد الاستاذ السوافيري دراسة ادبية خصبة لهذه المأساة المروعة ، وفي امسية ١٨ اكتوبر ١٩٦٢ ناقشت اللجنة الدراسة التي بذل « كامل » جهدا في سبيل اعدادها ومنحته درجة الماجستير في الادب العربي بتقدير « جيد جدا » وفي سنة ١٩٦٤ صدرت هذه الدراسة القومية في موسوعة ضخمة بعنوان : « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٥ » .

« بدأ السوافيري (١) حياته الادبية اثناء وظيفته في فلسطين ، فكتب مقالات في الادب والاجتماع والدين نشرتها صحف « الجامعة الاسلامية » و « فلسطين » و « الدفاع » ، واثناء دراسته في « دار العلوم » اسهم في الميدان الفكري بقسط ضئيل في صحف مصر « كالاهرام » و « البلاغ » و « الجهاد » ..

ولكن نشاطه الادبي ظهر بصورة واضحة ابتداء من سنة ١٩٤٨ اذ فجرت نكبة العرب القومية في فلسطين في نفسه ينابيع الادب والفن عندما شاهد ابناء بلاده ، وفيهم قومه وعشيرته واهله ، يرغمون على ترك اوطانهم وديارهم ، ويتشردون تحت كل كوكب ، ويهيمون على وجوههم في اقطار الارض يطاردهم الجوع ، ويلاحقون البؤس ، ومنذ ذلك الحين ارسل صيحاته القوية في دنيا العرب داعيا للوحدة والتضامن ، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ونبذ الخلافات لتتجلى الامة العربية في جميع الميادين .

ولما كانت القوة المادية من ناحية تعوز الدول العربية ، والايمان القومي يعوز بعض الحكام يومئذ فقد دعا في مقالاته الى القوة والتربية العسكرية والتسلح وانشاء مصانع للذخيرة في كل بلد عربي وتوحيد الجيوش العربية بعد توحيد الثقافة والاقتصاد والتشريع لتتمكن هذه الجيوش العربية الموحدة من الاخذ بالثار ممن سلبوها قطعة عزيزة من الجسم العربي ، وغسل العار الذي لحقها بعد الهزيمة في فلسطين ، والانتقام من اسرائيل ومن خلقوا اسرائيل وجعلوها شوكة في جسم الامة العربية وصنيعة لهم واداة يسخرونها لمصالحهم . وظهرت له في هذا المجال عشرات المقالات التي نشرت في مجلة « الرسالة » للاستاذ احمد الزيات و « الثقافة » التي اصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر و « الكتاب » التي اصدرتها دار المعارف بمصر و « الاديب » و « الاداب » البيروتيتين و « العرفان » الصيداوية و « القلم الجديدة » الاردنية و « الضاد » الحلبية و « الحج » السعودية . ومن المقالات التي نقدها كأمثلة :

١ ـ أدب الثورة والكفاح ٢ ـ عبد القادر الحسيني ٣ ـ اللاجئون ٤ ـ القوة في نظر الاسلام ٥ ـ التاريخ العربي والدعوة الى كتابته من جديد ٦ ـ فلسطين في هيئة الامم المتحدة ٧ ـ مصر والجامعة العربية ٨ ـ كيف نسترد فلسطين ؟ ٩ ـ العرب والعلم ١٠ ـ وعد بلفور .

وتناول في مقالاته فنون الادب فكتب المقالة والقصة والبحث والنقد ، ووجه عناية خاصة بالنقد الادبي القائم على أسس ومناهج ، فنقد كثيرا من الدواوين الشعرية والقصص والمسرحيات والكتب . وكأمثلة نقدم الدواوين التي نقدها : ١ ـ وحدي مع الايام للشاعرة فدوى طوقان ٢ ـ اللحن الباكي للشاعرة جليلة رضا ٣ ـ عبير الارض للشاعر فوزي العنتيل ٤ ـ المشرد للشاعر ابي سلمى ٥ ـ مع الغرباء للشاعر هارون هاشم رشيد ٦ ـ أغاني العودة للشاعر علي هاشم رشيد (وقد كتب مقدمته) ٧ ـ ديوان المرحوم ابراهيم طوقان ٨ ـ ديوان الشهيد عبد الرحيم محمود .

ومن المسرحيات التي نقدها : ١ ـ شعب الله المختار للاستاذ علي أحمد باكثير ٢ ـ وطن الشهيد وشبح الاندلس للشاعر برهان الدين العبوشي .

ومن القصص الطويلة التي درسها دراسات نقدية : الحب المحرم للسيدة وداد سكاكيني والسلم الرخامي للاستاذ عبد الله الكبير .

ومن المجموعات القصصية : حصيد الرحى تاليف غائب طعمة فرمان واشرقت الشمس والنافذة المغلقة تاليف يوسف جاد الحق ، وقد كتب مقدمة مجموعة « أشرقت الشمس » .

ومن الكتب التي نقدها : ١ ـ نماذج فنية من الادب والنقد للاستاذ انور المعداوي ٢ ـ أعلام الادب في عصر بني أمية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ٣ ـ مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد .

وهو اول من عرف بشعراء فلسطين وكتابها قبل النكبة وبعدها ، واول من أبرز خصائص الادب الفلسطيني في فنونه المختلفة ، ولم يترك علما من اعلام الفكر والبيان في فلسطين ولا شاعرا دون ان يفرد له بحثا » .

نموذج من نثره : « يعتصر الكاتب قلبه ليتخذ من دمه مدادا لقلمه حين يصور الاهوال التي يعانيها اللاجئون ابناء فلسطين الشهيدة الذين شردتهم النكبة . ومأساة اللاجئين أعظم مأساة أحاقت بأمة ، اذ لا يعرف التاريخ في كوارثه الجسام كارثة بلغت من الهول ما بلغته كارثة اللاجئين .

كم من امة غلبت على امرها في ميادين الوغى فلم يتشرد بنوها ، ولم يفقدوا ديارهم واوطانهم . وهذه المانيا قد غلبت في الحرب العالمية الثانية وهزمت جيوشها ودمرت مدنها ، لكن الشعب الالماني لم يشرد من بلاده .

الوف من الرجال والنسوة والاطفال يهيمون على وجوههم في الارض ، في المهام والقفار ، في السهول والجبال ، في السفوح والاودية ، في المغاور والكهوف ، على رمال غزة وخان يونس ، وفي معسكرات البريج والمغازي والنصيرات ، وفي صحاري الاردن ، وهضاب لبنان ، وسهول سورية ، وضفاف النيل ، وشواطىء دجلة والفرات ، يطاردهم الجوع ، ويلاحقهم البؤس ، ويتخطفهم الردى .

شعب تشرد ، وامة تبددت ، وشباب ذوى ، واسر تمزقت ، فأب في بيروت ، وام في القاهرة ، واخ في غزة ، واخت في عمان ، وقرين في دمشق ، وقرينة في بغداد ، وابناء يبحثون عن ابائهم ، وامهات يتساءلن عن فلذات اكبادهن !

لقد تآمرت عليهم الاحداث ، والتمرت بهم الخطوب ، فاذا هم ينحدرون من القمة الى الحضيض ، ومن النعمة الى النقمة ، ومن العز الى الذل ، ومن الشبع والري والماوى والكساء الى الجوع والظمأ والتشرد والعري .

قلوب أدمتها الجراح ، وافئدة كلمتها المصائب ، واستحالت الحياة في نواظرهم الى جمر يتلظى ، وجحيم يتسعر ، وغدا الموت عندهم امنية عزيزة المنال ، ولكاني بهم يتمثلون قول أبي الطيب المتنبي:

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا

وعلى الرغم من هذه المحن الشداد فقد تذرع اللاجئون بالصبر واحتملوا افدح الرزايا . اثنان وعشرون عاما يعللون النفوس بالاماني العذاب ، والامال البواسم ، معتقدين ان بعد ليلهم فجرا ، وان مع عسرهم يسرا ، ولكن ليلهم طال ، وظلامهم تكاثف ، كأن نجومه شدت بيذبل ... كما قال الشاعر القديم امرؤ القيس ، فهو ليل طويل لا ينجلي بصبح ، ولا يسفر عن فجر !

ترى ماذا يفيد اللاجئين اذا سمعوا ان قلوبنا معهم ، واننا نشاطرهم المحنة ونذرف الدمع اسى على ما أصابهم ؟ ان هذه العواطف لا تطفىء الاكباد الظامئة ولا تملأ البطون الخاوية ، ولا تكسو الاجساد العارية !

ولكننا معشر الكتاب والمفكرين لا نملك من دنيانا الا الاقلام الحرة

(١) تاريخنا المعاصر : ص ٢٩٦ ـ ٢٩٩ : محمد عبدالمنعم خفاجي .

مارد

انا مارد عالي الجبين   انا صرخة الحق المبين
انا صخرة قد حطمت   خطط البغاة الغاصبين
انا في زوايا خيمتي السوداء اهــزأ بالسنـين
وتمدني باللقمة العفناء   ايـدي الظالمين
لكي الين   ولا الين

قسما بتربك يا بلادي   قسم المشوق الى الجلاد
قسما بقدسك بالدماء   المهرقات على الوهاد
ما ذلني يومي ومل   الامس او سمة الجهاد
مل الرقاد سواد ليلي   فمتى يناديني المنادي

الفجر يبزغ فارقبي   يا امتي الحدث الخطير
جيش واعلام تسير   غدا متى دوى النفير
الفجر يبزغ انه   ميلاد تحرير الاسير
آمنت بالوطن الكبير   ليمسح العار الكبير

الفجر يا حلم الجدود   وصيحة الحر الشهيد
فوق مشانق .. في المجازر   في السهول .. على النجود
هيا اطلوا من اعاليكم   على الفجر السعيد
فقد اشترى دمكم لنا   عز الكرامة والخلود

يا ظلم .. يا جاني على   الاحرار تشريدا ونكدا
احسبت انك مستطيع   ان ترد الحر عبدا ؟
انسيت انا نسل من   ملكوا الدني شهبا واسدا؟
يا ظلم زد تجريحنا   حتى يثير القدح وقدا

قسما بتربك يا بلادي   قسم المشوق الى الجلاد
مل الرقاد سواد ليلي   فمتى يناديني المنادي

الرابية ـ لبنان   اسمى طوبي

الصادقة التي تصور لوعتنا . ان هذه الكلمات التي نكتبها بدمائنا هي الدراهم التي نقدمها للاجئين ، وليتها تخفف عنهم الاهوال والارزاء !

ايها اللاجئون ! لا تبكوا امسا ولى ولا ماضيا غبر ، ولا تذكروا الايام التي رفرف فيها علم البهجة عليكم ، ولا تتطلعوا الى الماضي الجميل ، لانه يزيد من ألمكم ، ويضاعف من حزنكم ! .

واذا كان الاستعمار البريطاني الاميركي قد دق اسرائيل اسفينا في جسم امتكم ، واتخذ منها اداة مدمرة يهدد بها كيان العالم العربي متى انتفضت شعوبه ! لا تقنطوا من رحمة الله والعودة الى فلسطين ، فان للثار يوما قريبا تثور فيه مراجل الحقد الدفين ، وتتأجج نيران الضغينة على اعداء العروبة والاسلام .

لقنوا ابناءكم حب فلسطين ، والتغني برؤاها والحداء بذكرها ! واذا لفكم الاسى في برده القاتم وعصف بكم اليأس فهوموا بارواحكم في السماء واذكروا انكم شعب مجاهد ، جالدتم اقوى دول الارض وأخبث شعوب العالم ثلاثين عاما ، وقدمتم على مذبح التضحية مئات الشهداء من ابنائكم ، وتحملتم اهوال السجن والنفي والتشريد ... فلم تلن لكم قناة ، ولم تضعف لكم شكيمة ! » .

عمان ـ الاردن   البدوي الملثم



علـي الزيبـق

قصـة القـلم في حلـب

بقلم علـي الزيبـق

* * *

وقبل ثلاثة عشر عاما حاولت (١) ان اروي قصة القلم في حلبنا ، وليس لي رجاوة غير تحريك الجذى في سرر الرماد ، ونقل الحقيقة الى الاذهان كما هي لا كما اود ان تكون ...

بيد ان اصدقائي الادباء راحوا ... فقد تعود الكثير في هذا البلد ان يمدحوا ويمتدحوا ... فكيف حدثت عنهم وغبرت في بيدائي ؟

واعود الان ، لاتم القصة ، وانا اجوس الخنادق والحواجز بسرعة ...

فالى الذين يعبرون الدبوسية الى بيروت من دون ان يدفعوا ضريبة الحب والموت والالم معذرة ، والى الذين يغشون لبنان بغير الثياب التي يرتدونها في الشام معذرة ايضا ، فاني سأسحب ذيلي عليهم ...

وفي هذه المرة ، اعطر القارىء الفهيم بأسماء الادباء والكتاب المقيمين في حلب ، واعرض عن النازحين ... ومن يهجرنا نهجره !

حلب ام المعالي والرتب ـ يقول جدي رحمه الله ـ ولكنها اليوم غير ذلك ! فعندما ضعف الايمان ، زال عنها بركة الرطل ، واصبحنا نشتري خبزنا كفاف يومنا بالكيلو .. مسكينة حلب ! فاين السراويل ! وأين أهل الطرابيش المغربية وباكورات المحلب ؟ بل أين العكيدة (٢) يضعون الايدي على الصدور فيصدقون ؟ كل ذلك مضى ... وجاء جيل البنطلونات ، واصحاب الكمبيالات ، نساؤهم يلبسن الشفوف ، ويلبسن الى حد الركبة ، فلا حول ولا ...

تلك الجبة الحجرية الشرقية ينخرها الضوء والهواء تخلعها حلب الان ! انها ترتدي بجادها العربي القشيب فصلته الهندسة الغربية ... الشمس ، الشمس البيضاء كالثلج ، تدهن الشوارع ، وتملأ النوافذ حكايا ... والناس في جيئة وذهوب يحملون الانباء وتنزلق عيونهم على الافق .. ما زال في صوتهم بعض الرنين اليابس سرقوه من الصحراء ، وما زالوا مؤمنين بالله وان قصروا السبحات ...

كل شيء يتبدل بسرعة .. فمياه القناية لم تعد تزرع التفاحة الحلبية على الخدود ، واصبحت حلب ترضع من نهد الفرات ولا احلى ...

الاديب ، الكاتب ، المفكر ، يشول هذه البيئة كلما رنق وزف وحلق ... ولا بد ان يكون نبات هذه البيئة ! .

الاندية والجمعيات عناوين تسبح على الشفاه ولا تراها العيون .. هي خمس وخمسون سنة ١٩٥٨ وثماني وسبعون سنة ١٩٦٩ (٣) . وجمعية الابحاث العلمية سنة ١٩٥٧ وما تزال تعمل جاهدة . وجمعية العاديات وكان تأسيسها سنة ١٩٣٠ مليئا بالوعود ... ولا انسى هاتيك المحاولات والابحاث تنشرها مجلتها ذات الصفحات القليلة وهي تستهل حياتها فتقصي عنا الغبار .

اما المكتبات فكانت اشواقا في عيون الشوارع ... تلمع في واجهاتها الجرائد والمجلات معلقات كالنوافذ تدعو الى السياحة ! وفي نهايات سنة ١٩٦٨ تفاجئنا اخبار حزينة : فمكتبة النور التي تضم أمهات الكتب الانكليزية يفلس صاحبها فتتحول الى احذية كارلتون ... ومكتبة دراكجيان الفرنسية ـ الانكليزية يفلس صاحبها فتتحول الى كابيتول ... ومكتبة وطفة التي بالعبارة تنقلب الى حانوت فلافل ، ويغادرها منشئها الى الكويت ... ومكتبة اسكيف التي قرب منتدى الضباط تتحرر من الكتب والجرائد لتصبح معصرة فواكه « فيتامين » ... واما مؤسسها فيتدحرج جسمه في دكان نوفوتيه .. وهناك ... وهناك ... فلم يبق في حلب من المكتبات التي تعلل سوى مكتبة عجان الحديد تعنى بآثار القدامى ، ومكتبة الشهباء تهتم بالمؤلفات الحديثة ، ومكتبة المنارة تضم الروائع الفرنسية ... فليحرس المولى هذه المكتبات!

وبدأت ريح الهجرة تنفخ اشرعة النهى والقلوب .. هجرة من حلب الى دمشق ، ومن حلب الى بيروت ، ومن حلب الى ... فالادباء والكتاب والمفكرون يوسعون رقعة الارض ، وقد يحلمون ببساط الريح وفانوس علاء الدين ...

فممن هاجر الى دمشق : صلاح الدين الكواكبي ، سامي الدهان، عزة حسن ، عبد الكريم الاشتر ، عبد الرحمن حميدة ، محمد التونجي، نهاد رضا ، مصطفى بدوي ، حسين راجي ، فاضل السباعي ، فاتح المدرس ، ومنير العمادي .

وممن هاجر الى بيروت : ادمون رباط ، قدري قلعجي ، مروان الجابري ، فردينان توتل ، شكيب الجابري ، عبد الله عبد الدايم ، ونديم مرعشلي .

وأوطن رونيه خوام بفرنسا ، وبولس قوشاقجي بالولايات المتحدة ، وعادل الغضبان بمصر ، وعبد الفتاح ابو غدة بالسعودية ، وعبدالوهاب حومد بالكويت ، ونديم خشفه بالجزائر ، وصالح الاشتر ، وعمر بهاء الاميري ، وعبد الوهاب سايس اقاموا في المغرب .

فكل من ذكرت له مؤلفات ... احسبني اعطيت فكرة صالحة عن دينامية الهجرة ! .

وما تزال دار الكتب الوطنية تخلع الاجنحة على روادها منذ سنة ١٩٤٥ حيث آل امرها الى البلدية ... فهي تغريك وتدعوك الى الانسياح بفهارسها السبعة الدقيقة خطتها الافئدة بصدق واخلاص (٤).

وعلى الرغم من دواعب الارياح (٥) ، فان مديرها الاستاذ جلال الملاح لا يدع سانحة تفوته لاغنائها او للحفاظ عليها ... واني لاقرأ الفرحة الكبرى على محياه وهو يرى الى اهل الكرم يعطفون على دار الكتب بالمال والمؤلفات .... وما كان لذلك ان يتم لولا ما يتمتع به من تجلة .

ولا اود الحديث عن الصرعة .. اولئك الذين يلدون في حقيبة صحفي غر ، ثم لا يقبلون الا ان يقال لهم : حماداكم ! فأنتم اشعر الشعراء ، واعظم الكتاب ، وانتم ... سامح الله المشجعين ! فلو تبصروا بالامور اكثر ، فليست الدنيا كلها على حدود ضيعتنا ! .

على ان الافتقار الى مطابع اللينوتيب او المونوتيب (٦) ، والافتقار

الى دور النشر المخلصة ، ما يزال يشكل ازمة كبيرةملحوظة .. مما يدفع الكتبة الى التعاقد مع دور النشر بلبنان ، ونادرا ما يعوجون على مصر ...

الشـــعر

شعراء التقمص والتصور والخيال ، الشعراء العارفون الذين يعبرون عن التجربة بغير الفاظها ، وينسجون على المنوال ... الشعراء الكلاسيكيون بدءوا ينقرضون !

عمر يحيى في قصيدته « متقاعد » قفز الى مـا وراء الحاجـز الكلاسيكي ، وهو يحمل جراحه رفافة ما بين الغصون (٧) .

فهذه المحاولة الرائعة تختلف عن كل ما سجله سنة ١٩٢٦ فـي ديوانه البراعم ! وانا لم اقرأ قصائده الاخيرة .... (٨)

وعندما اطوي جناح العيون على قصائد شارل خوري ، عبد الله يوركي حلاق ، وانطواق شعراوي ... اجدني لا اطيل الـوقـوف ، واحاول التحليق ... فهذا الصحو يخيفني ، وانا لا احب الجمـال عريـانـا .

وبعد ان تقرأ لهؤلاء يبقى في ذاكرتك اسم شارل خوري مدويـا ، وهو اكثرهم اصالة ... فاقرأ له دواوينه الثلاثة : سـجايا واطيـاب وايمـان ...

وعبد الله يوركي حلاق بعد ان صدر له « خيوط الغمام » سـنة ١٩٤٢ لم يبتعد كثيرا في « حصاد الذكريات » سنة ١٩٦٦ . فقـد ظلت شاعرية انطوان شعراوي ارق منه في « منهل الوفاء » سنة ١٩٥٧ وان كان الحلاق اغنى منه فكرا ... (٩)

ولا ريب ان عمر ابو قوس ظل نسيج وحده في تقنية القصيـدة العربية القديمة يحملها رؤاه الجديدة واستبصاراته ... علـى ان اجمل قصائده تلك التي تشف عن حنينه اللاظي الى الاطفال وشـكوى الحال ، فقد صاغتها اللغة القوية ، ووضوح الرمز .. (١٠)

ومن بعيد يلمع نجم شاعر ملء عينيه نجوى ... ذلكم هو محمد منلا غزيل ، وليس له غرض اسمى سوى الدعوة الى صميم الاسلام ! وفي مجاميعه الاربع (١١) رعشات افئدة كابدت ما كابدت ...

ويقول لي الاصحاب : ما رأيك بالشاعر عمر ابو ريشة ؟ فاجيبهم وانا اتمتم باسم الشاعر علي الناصر :

ان لحياة عمر جناحي شذا وفسحة بساتين ، فهي حياة الكثير ! واما حياة علي فقارة محصنة بالرموز والاسرار تتمرد على المكتشفين ما لم ... من ذلك نجد الفاظ عمر من مناجم الصحو ، ونجد الفاظ علي من جبال الغيم ... فعمر يرى نفسه امينا على لغـة العروبـة ، ويجالد في سبيلها .... واما علي ، فكلما هم بالطيران صنع لنفسـه لغة ! وعمـر الشاعر يشغف بالمطولات وان كـان يـأذن للشمس ان ترمهما .. (١٢) ولكن عليا يروي لك الحكاية ذات الالف ليلة وليلة كلها في حرف واحد ... فالتكثيف والتذهين شغله الشاغل ، وهو في هذا شـاعر نـادر .. (١٣)

وثمة شعراء شباب في مستهل الدرب عرفت منهم : مصطفى حاج مصطفى (١٤) ، محمود ختام (١٥) ، ظهير كنيفاتي (١٦) ، لؤي فـؤاد الاسـعد ، صباح الدين كريدي ، كمال سلطان ، نبيـه الشـعار ، ومحمود محمد كلزي (١٧) .

الـروايـــة

لا ريب ان اول روائي باهت به حلب هو الدكتور شكيب الجابري. كان ذلك سنة ١٩٣٨ عندما طلع على العالم العربي بروايته الشهيـرة « نهم » .

وعلى الرغم من ان بعض ادباء حلب عانوا دوار الرواية ... الا انهم ما برحوا يرفون ، فلم يكن لهم قوادمه وخوافيه ، ولا اتسـاع الحـدق !

واذا كان على الروائي ان يشارك الفنان والفيلسوف في صفحات كثيرة كما يقول جيمس ، فان شكيب الجابري ذيالـك الفيلسـوف والفنان ! تذكرنا به رواياته الاربع (١٨) .

وكان الروائي الثاني الذي عرفته حلب هو عبد الوهاب الصابوني. ففي سنة ١٩٥٣ ظهرت له « عصام » التي ما تزال يتيمة عنده وعندنـا ... فهي صنعة الفكر العارف الذي لم يشارك الفنان في صفحاتـه دوامـا ! .

جورج سالم عاش « في المنفى » سنة ١٩٦٢ دون ان ينفيه احد ... فهذه الرواية عمل جديد لم تجنحه الطفولة البريئة ، تلك التـي تؤنسن الابعاد ... وبالرغم من كل ذلك ، ربما امتعنا !

الا ان جورج بدأ يعاني غربة الحرف ... فقد جنح للترجمة ، وفي

---

(١) انظر حكاية الفكر في حلب (الاديب ، سبتمبر ١٩٥٧) .
(٢) الكاف المشددة المكسورة تلفظ كافا فارسية ، وتعني الشـجعان باللغة الحلبية الدارجة . (٣) باستثناء الاندية الرياضية .
(٤) تأسست دار الكتب الوطنية سنة ١٩٢٤ باسم مكتبة فرع المجمـع العلمـي العربـي . ثم الحقت سنة ١٩٤٥ ببلدية حلب ، والحقت سنة ١٩٥٩ بوزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ومـا تـزال . تحتوي الان على خمسة واربعين الف كتاب عن الجرائد والمجـلات ، ويتألف بناؤها من طابقين يشتملان على تسع غرف وبهـو وقاعـة محاضرات . وفي سنة ١٩٦٨ أمها (١٨٩،١١٥) مطالع منهم (٤٦٤٦) قارىء مجلات . (٥) بلغت ميزانية دار الكتب الوطنية سنة ١٩٤٩ نحو مائـة الف لـيرة سورية ، وبلغت ميزانيتها سنة ١٩٦٩ نحو خمسـة عشر الـف لـيرة سـوريـة . (٦) تملك حلب حاليا خمسا وخمسين مطبعة عادية ومطبعتي اوفسيت وثلاثة معامل زنكوغراف . (٧) البيت الاخير من القصيدة :
جراحـه في قلبـه اصبحـت رفافـة ما بـين تلـك الغصـون
(٨) ولد الشاعر عمر في حماه سنة ١٩٠١ . سكن حلب منذ سنة ١٩٣٦ وعلى يديه تخرجت صفوة من الادباء والكتاب والمثقفين . ويدرس حاليـا مادتي النحو والعروض في كلية اللغات بجامعةحلب . (٩) ولد الشاعر سـنة ١٩١١ وتجـد فـي ديوانـه حصـاد الـذكـريـات عشريـن منظومة مدح ، واثنتي عشرة منظومة رثاء (١٠) ولد الشاعر سنة ١٩١٨ تزوج ولما ينجب طفلا ، وفي سـنة ١٩٥٩ احيل على التقاعد . له حروف من ثار ، وحي الليل ، العيون الخضر (١١) ولد الشاعر سنة ١٩١٣ ففي منبج . له في ظلال الدعوة ، الصبحالقريب ، اللهوالطاغوت، اللؤلؤ المكنون (١٢) ولد الشاعر عمر سنة ١٩٠٨ في عكا من اب لبناني وام تونسـية فلسطينية . تبنته حلب وباهت به ، ولكنه غادرها منذ سنة ١٩٤٩ . لـه ذي قـار ، شـعر ، من عمر ابو ريشـة شـعر ، والمختارات . وكـان القاؤه الرائع يثير حماسة الحلبيين .
(١٣) ولد الشاعر علي الناصر نحو سنة ١٨٩٤ في حماه ، وسـكن حلب منذ سنة ١٩٢٠ ، له قصة قلب ، الظمأ ، البلـدة المسحورة ، سريال (بالاشتراك مع اورخان ميسر) ، دن الدموع ، اثنان في واحد ، وهو طبيب حلب للامراض الجلدية منذ ثلاثة وخمسين عاما .
(١٤) له « اوتار تحترق » طبع ١٩٦٦ . (١٥) له « موسـم الراعـي الحزين » طبع ١٩٦٦ . (١٦) له « الكوخ فرس زرقاء » طبع ١٩٦٧ .
(١٧) لم يصدر لهؤلاء الخمسة أية مجموعة .
(١٨) ولد الدكتور شكيب سنة ١٩١٢ وغادر حلب منذ سـنة ١٩٤٢ . صدر له : نهم ، قدر يلهو ، قوس قزح ، وداعا يا افاميا . وله رواية مخطوطة اسماها « في اثر السراب » ، ويعكف على كتابة رواية جديدة بعنوان « ثلاث فارات صغيرات » انجز منها نحو اربعمائة صفحة .

ذلك ملء التعبير عن موجعاته ... (١٩) .

ومحمد الراشد الذي يتداوى من الجريدة بالجريــدة (٢٠) ، عاش في بيئة شعبية موحية زاخرة ، وكان لوالده الكبير الشـيخ رشيو (٢١) اثر بارز في حياته الادبية !

وبعد ان صدر له « غروب الالهة » سنة ١٩٦١ ، جاز المـدى وابتعد فكان له « المحمومون » سنة ١٩٦٥ . وهو في كلتـا هاتـين الروايتين يعبر باخلاص عن الضياع الحضاري ، ويدعونا الى الاجمل ... ولكن بالعنف ! .

ولا انسى عبد الاله يحيى ... فروايته « الالوهة والخطيئة » التي ابصرت النور سنة ١٩٦٥ ، احساس بالغربة ، وحـزن على المصير الانساني ، والف سؤال .. وهو اكثر شغفا بالاسهاب من التكثيف كلما برعمت هاجسة .

القصــــه

ولم يتح لحلب ان تعرف القصة القصيرة الا بظهور مظفر سلطان ، فهو رائدها الاول ... وكان ذلك قبيل الحرب العالمية الثانية !

بيد انه سكت غب صدور « ضمير الذئب » سنة ١٩٦٠ ، ومـا اخاله يتكلم !

وهنالك قاصون تسربلوا بالصمت ايضـا : عبد الرحمن البيـك الهته المحاماة ، وعلي بدور ، وبدر الدين الحاضري اسرته الماجستير ، وشمس الدين شمسه طواه العمل ، وجورج طرابيشي جرجته الترجمة .

وكدت اذكر اديب نحوي ! ولكنه بدأ يحكي (٢٢) .

جهاد الكاتب ، هذا المارد ، فنان اصيل يسلبني شخصيتي كلما هممت ان اقرأ له ... ولا استردها توا ! فما ذلك الا لانه صادق مع نفسه ومع الاخرين ! فالقصة عنده معاناة ، لا افتعال ، لا مواربـة ، ولا ... وانما البساطة ، البساطة الشفافة ، تحسـها وتلامسـها في الكلمة تعانق الكلمة !

اقرأ له البنادق الطويلة ، والوسام ، وفـار على الرصيف ، (٢٣) واقرأ له ... فلا بد ان ترتاح لهذا الفيض الوجداني يوفق باخلاص بين ما هو انساني ، وما هو فولكلوري ، ولكن بالعبرة والنكتة والسخرية !

وعلى حين ينسرح جهاد الكاتب مع عضويته ، يركض وليد اخلاصي وراء حروف العطف ، فيؤلف منها اللوحة !

ويهتم هذا الاديب الحائر بكل جديد .. يتحرش ، يبحث ، ولا يلتفت حتى الى ضوضاء النور يتصاعد خلف غليونه ! فمن اللامعقول ، الى المسرح ، الى الاقاصيص ، وبعد ؟ وهو في ذلك كله يعرف اكثر مما يحس ، ويصور بريشة ما قد كان وما سيكون ... ولا ريب ان ثقافته الزراعية لها بعض ظل على هذا الانسجام وهذا التماسك اللذين اذنا لشمس الظهيرة ان تصبغ من عبارته ... (٢٤)

وما يزال ببالي اسماء قاصين اربعة : مصطفى زيـات ، فـؤاد رفاعي ، رنيه عبودي ، فاضل ضياء (٢٥) ولكن نتاجهم ضئيل !

السـيرة

ما برح جرجس ماrديني الرائد الاول لفن السيرة (٢٦) كان ذلك سنة ١٩٦١ عندما ظهر له « حياة يسوع المسيح » .

فبالخيال الشفاف ، بالدقة ، بالعمق ، وبالعنصر الهام الكبير الذي يجب ان تقوم عليه السيرة وهو التمشي مع حركة النمو والتطور في البناء كما يقول احسان عباس ، وبالرؤية الانسانية .. بهذا كله استطاع الاب ماrديني ان يحدثنا عن السيد المسيح حديثا ماتعا .

ولم يخلفه احد .. (٢٧) .

البحـــث

يفرض علي احترامه العالم الذي يحيا بالحقيقة وللحقيقة ... فهو يحمل قلمه كما الفدائي يحمل البندقية ، ولا هم له الا تحقيــق الاجمل والامثل ، ولو قدم حياته قربانا ... فليس العالم الحق مـن يركض وراء سراب المادة ، يخافت المشي على القبور ، يرجم الناس .. العالم انسان رائع ! وانسانيته هذه تساوي ملء وجوده !

فؤاد عنتابي يفرض علي احترامه ! وان لم تصدقني ، فاقصد بيته امام السجن المدني ، ليحكي لك قصة القلم الذي يسيل جرحه ، فهـو لا يدعي ، وانما يدعوك الى الحاشية ، تعطف عليها لتجد المعاناة وهـو يبري عيونه على شفرة الحروف ... فالامانة العلمية ، امانة النقـل والتأليف ، بعض ميزانه ... كل ذلك يتجلى في مؤلفاتـه الثمانيـة المخطوطة ، وبعضها بالانكليزية ، وبعضها بالعربية .

وهذا العالم ، الذي قرأت له المقتطف والعرفان والسياسـة الاسبوعية منذ سنة ١٩٢٧ تجده الان يميل الى التاليف بالانكليزيـة ، ولا يقرع باب المكتبة العربية الا لماما .. (٢٨)

الاسدي خير الدين ، ذو الشطحات ... زره في متحفه بالشيخ طه ، لينقلك وانت على كرسيك من بلد الى بلد في لحظة مترعة اخت امجـاد ! .

ويا قارئي ، من اين ابدأ ؟ فهذا اديب ، ام فنان ، ام عالـم ، ام متصوف ؟ سمه ما شئت ! ولكنك لا بد ان تحني جبينك امام هـذا الصبر وهذا الاخلاص للحقيقة كلما وقفت على صفحة درزها قلمـه ، بل قلوبه الكثيرة والكثيرة ...

ما خير الاجيال ؟ جيل يرى الخرائط غير ملونة .. ما الصوفية ؟ احاسيس ناعمة مسرحها وراء الطبيعة ... ما الكلمة ؟ كائن حي فـي دنيا الطبيعة وتعطيها الطبيعة للعالم لا الدراسة ...

---

(١٩) له مجموعة قصصية « فقراء الناس » ، ورواية « في المنفى » . واما كتبه الستة الباقية فهي ترجمة عن الفرنسية .

(٢٠) ولد الاديب محمد سنة ١٩٤١ في تادف ، وهو من محرري جريدة الجماهير العربية الحلبية .

(٢١) ولد الشيخ رشيد سنة١٨٩٧ في تادف ، وله عشرون كتابا مخطوطا

(٢٢) لم اتمكن من دراسة آثاره ، وحالت وحالت المسافة الشـاسعـة بيني وبينـه !

(٢٣) انظر الاديب (يوليو ، مارس ١٩٦٧ ، ونوفمبر ١٩٦٩) .

(٢٤) تخرج الاديب وليد سنة ١٩٦٠ من كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية وصدر له : قصص ، شتاء البحر اليابس ، العالم من قبل ومن بعد ، دماء في الصبح الاغبر ، واحضان السيدة الجميلة .

(٢٥) ليس لهؤلاء اية مجموعة قصصية .

(٢٦) انظر ما كتبه عبد الوهاب العجيلي (توفي ١٩٤٥) فـي مجلـة الحديث الحلبية (الاعداد ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) سـنة ١٩٣٤) فهي لم تبلغ من دقة التصوير وعمق التحليل ما بلغته السيرة الفنية على يد الاب ماrديني ، ولذلك لم اعتبر العجيلي الرائد الاول على رغم براعته ، وللاب ماrديني كتاب اخر « فجر المسيحية » صـدر سنة ١٩٦٣ وهو لا يقل روعة عن « حياة يسوع المسيح » ولكنه يتحدث فيه عن اكثر من شخصية واحدة ! . (٢٧) ولد الاب جرجس سـنة ١٩٠٤ ، صدر له ستة عشر كتابا نصفها ترجمة ، وله اربعـة كتب مخطوطة اثنتان منها ترجمة . (٢٨) ولد الاستاذ عنتابي سنة ١٩٠٩ . له بالانكليزية : الزجاج السوري والحلبي خاصة ، علم الفلك عنـد العرب ، ابن يونس الفلكي العربي واثـره على جونس جريفـز اوف اكسفورد ، ديوان شعر ... وله بالعربية : العرب والتجارة ، الغرف التجارية في البلاد العربية ، القوى البحرية الاسلامية ، دور العرب في الحضارة الاوروبية . وكل هذه الكتب مخطوطة . (٢٩) ولد البحاثة

تلك هي نظراته في الحياة والكون والفن ، يرويها لك وانت في خدر لذيذ ما بعده من خدر ...

واما كتابه الضخم « موسوعة حلب » الذي سكب في كل حرف من حروفه الصحة وما يملك من دناه كتابه هذا ... سفر ماتع في درب الفولكلور الحلبي على مسافة ثلاثة الاف ومئتي صفحة كبيرة خصبة ! وكلما اتعبك المسير اظلك الاسدي بتاويلاته ، وحاول ان يجمع من شتات فكرك السابح ! .

ولكننا لم ننصف هذا الانسان ... (٢٩)

وقاسم احمد ، العامل العلمي (٣٠) ، اطفأ اثنتين وعشرين شمعة من عمره في مقارنة اللغات السامية والحامية والآرية ، سيرا عنقا وشدا ، وراء الحقيقة .. ولكنه لم يتمكن من جمع معلوماته بين دفتي كتاب واحد (٣١) .

وفي ظني ان الدكتور محمد يحيى الهاشمي كان يعدنا بالقطاف . وبعد احالته على التقاعد سنة ١٩٦٤ كدنا لا نجد له سوى الترجمة (٣٢)

ومن الشباب يلوح لي جليا زهير طحان . اعرفه واعرفه ... وبعد ان قرأت له « هكذا تكلم بوذا » سنة ١٩٦٣ وجدته يطوي البيد طيا الى البحث العلمي . وهو في مؤلفه المخطوط « الروح » حر التفكير .

التحقيـــق

الدكتور سامي الدهان ، امام المحققين الحلبيين ، اول من عانى دوار التحقيق والشرح والفهرسة في مدينتي ... وكان ذلك سنة ١٩٤٤ عندما اعد للطبع ديوان ابي فراس الحمداني في ثلاثة اجزاء (٣٣) .

وقد تبعه فيما بعد تلميذه الدكتور عزة حسن الذي كان رائعا مثله ، مخلصا مثله ... (٣٤)

الا ان الدكتور فخر الدين قباوة ، هذا الشغيل ، ابرز المحققين الذين يقيمون في حلب . بل لا اكاد ارى سواه ! .

وان شئت فاقرأ له شرح القصائد العشر صنعة الخطيب التبريزي ... أفلا تقف على امانة العالم واخلاصه وانت تحنو على الحاشية ؟ لا بد الا ان تنحني اجلالا لهذا الجهد الكبير ... (٣٥)

الترجمـــة

ان عددا غير قليل من ساكني الشهباء كانوا ـ وما يزالون ـ يحفرون الابجدية الفرنسية على قلوبهم ، بل منهم من آثر التاليف بها مثل : رنيه خوام ، اسعد محفل ، ادمون رباط ، حميد الانطاكي ، جوزيف شلحت ، شريف الخزندار !

فهذه هي اللغة الاجنبية المفضلة عند اكثر الحلبيين .. وما برح عشاق الفرنسية يزدادون ويزدادون الى ان تم الجلاء (٣٦) فبدأت الانكليزية تنافسها ! .

وكان اكثر الصحف اهتماما بالترجمة عن الفرنسية هي « الشعلة » (٣٧) ، « الرحمة » (٣٨) ، « الشهباء » (٣٩) . فقد اعتمدت هذه المجلات الثلاث على الترجمة اعتمادا كاد يغلب على الانشاء والوضع ...

على ان ما يترجم لم يكن ليستهدف الامتاع والمؤانسة عن طريق الاحساس اللغوي العميق الذي له ما يقابله في اللغة التي يترجم لها .

وفي سنة ١٩٥٢ يصدر حسيب الحلوي « الادب الفرنسي في عصره الذهبي » بسبعمائة وتسع وستين صفحة . فهذا الكتاب القيم ضم نصوصا من الادب الفرنسي في القرن السابع عشر ، فكانت الترجمة الدقيقة الممتعة التي ما تزال رائدة !

واذا كان الحلبيون قد ترجموا عن الفرنسية ، فانهم لم يتنكروا لبقية اللغات العالمية ، او الشرقية ، ولكن ترجمتهم عنها ـ ولا سيما الشرقية ـ لم تكن كثيرة !

واما ترجمة الآثار العربية ، فان محاولة برصوم الشماس يوسف تظل فريدة ورائعة ، ففي سنة ١٩٥٧ تمكن من نقل مواكب جبران خليل جبران الى السريانية شعرا !

على ان جل الذين عانوا الترجمة قد نزحوا ... فمنهم من سكن دمشق ، ومنهم من سكن بيروت ، حيث يتداح الافق ... ولم يبق في حلب سوى النزر القليل امثال : حسيب الحلوي ، الياس غالي ، وديع قسطون ، نجيب مكربنه (٤٠) ، جورج طرابيشي ، محمد جديد . وهؤلاء جميعا يترجمون عن لغة واحدة . واما جرجس ماريني فيترجم عن اللغتين الالمانية والفرنسية .

ولا بد لي ان اعير الدكتور محمد التونجي التفاتة ، فقد اطلعني بدمشق على مسودات « المعجم الذهبي » وهو قاموس فارسي ـ عربي بضم نحو ثلاثين الف كلمة . فهذا عمل فذ من دون ريب ، وتشتاق اليه مكتبتنا العربية !

اشتـــات

ثمة اقلام طيبة ما تزال تدعوني الى الكتابة . فلذلك ارجيء الحديث عنها ، وفي شفتي وعد .

من هذه الاقلام اذكر : فتح الله صقال ، سامي الكيالي ، محمود اللبابيدي ، امين الله عيروض ، صبري الاشتر ، عمر الدقاق ، خليل الهنداوي ، بكري الشيخ امين ، محمود منقذ الهاشمي ، صبحي المجيلي ، محمد خير حلواني ، بشير رافت شريف .

حلب ـ دار الكتب الوطنية **علي الزيبق**

الاسدي سنة ١٩٠٠ وصدر له : اغاني القبة ، حلب ، يا ليل ، البيان والبديع ، عروج ابي العلاء ، وله كتب مخطوطة : موسوعة حلب ، ايس وليس ، الالف ، الله ، تاريخ القلم العربي ، موسوعة في النحو . (٣٠) هكذا يلقب نفسه . (٣١) ولد الاستاذ قاسم سنة ١٩٠٩ في بيروت ، وسكن حلب منذ سنة ١٩٣٠ . صدر له التربية العلمية ، وثلاثة كتب مترجمة ، وله مخطوطان . (٣٢) صدر للدكتور الهاشمي : المثل الاعلى في الحضارة العربية ، لغز ابي العلاء ، جعفر الصادق ملهم الكيمياء ، رحلتي الى منطقة القطب الشمالي ، مطارح الشعاع ، ماكس بلانك ، محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب . (٣٣) وقد نال به الدكتوراه من جامعة السوربون . (٣٤) حقق الدكتور عزة اربعة عشر كتابا ، وله ثلاثة فهارس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية ، ودراسة تحليلية لشعر الوقوف على الاطلال . ويشغل الان منصب مدير المكتبة الظاهرية بدمشق . (٣٥) ولد الدكتور قباوة سنة ١٩٣٣ ، صدر له : ديوان سلامة بن جندل الشاعر الفارس ، شرح القصائد العشر . وقد حقق اثني عشر كتابا ما تزال مخطوطة . (٣٦) دخل الفرنسيون حلب في ٢٣تموز ١٩٢٠ بقيادة الجنرال دلاموط ، واحتفل بجلائهم عنها في ١٧ نيسان ١٩٤٦ . (٣٧) مجلة ادبية فنية اقتصادية شهرية انشأها فتح الله قسطون (توفي ١٩٥١) سنة ١٩٢٠ ، وتوقفت عن الصدور سنة ١٩٢٢ . (٣٨) مجلة دينية تاريخية ادبية شهرية انشأها القس الياس غالي (ولد ١٨٩٥) سنة ١٩٢٧ ، وتوقفت عن الصدور سنة ١٩٣١ . (٣٩) مجلة علمية ادبية اخلاقية شهرية انشأها الخوراسقف اغناطيوس سعد (توفي ١٩٦٥) سنة ١٩٢٥ ، واوقفها سنة ١٩٤٩ ، وكان اسمها في بدء ظهورها « القربان » . (٤٠) وغاية هؤلاء سامية ، ولا ادل على ذلك من البروتوسينكلوس الياس غالي، فقد ترجم عن الفرنسية اثنين وثلاثين كتابا ما تزال كلها مخطوطة.

مجد لبنان

« للبنـان الاشـم الذي كرم الفكر والادب في شخصي ألبـير أديـب والاخطل الصفير .. أهـدي هـذه القصيـدة » .

كم فيك للمجد يا لبنان من نسب ! ! — وللخلود .. برغم الكيد .. فانتسب
من راحتيـك نبـوغ الحرف بـادرة — ان غبتعنها .. جبينالشمس لمتغب
لمتشك يوما من الدنيا .. فان وثبت — منك الشموخ ، ومنها دعوة الهـرب
فـأرزك السـمح ما يمنى بعاصفـة — الا تدفـق منـه .. عاطـر السحب
ترنو لعذب المنى دوما .. وما برحت — اطياف هذي المنى تغريـك بالشهب
نجواك للحب .. لا حقد ولا غضـب — في بيدر القلب ما يغنى عن الفضب
فالحبطيش .. وفيك الحبمصدره — وحي الضمير ، وفكر دائـم الفلـب
والحسن وشي .. وفي لبنان فتنته — سحر العيون .. وقد قد من عجب
لحن (العتابا) وعزفالناي رجعصدى — من ارض عبقر .. يشجي كل مفترب
ونغمةالقدس من (فيروز) ما صدحت — الا ترنـح عطـف الدهـر من طـرب

عفوا لعذلـك يا لبنـان مـن فئـة — في لومها بعض ما تلقاه .. من حرب
ضاقت بنـورك فاشـتدت معاتبـة — والنور يعشي قذى فيالعين والهدب
نجواك حب لدنيـا العرب من زمـن — شاب الزمان وهذا الحب لـم يشب
لم تبتعد عن سـماء العرب عاطفـة — وأي شيء لدنيـا العرب لم تهـب ؟
اغنيت بالفكر دنياهم .. ولو قدرت — يمناك شقت لهم سترا من الحجـب
ان يشعل الليـل في افاقهم .. قمر — ففـي ذراك نجـوم الفكـر والادب
بـراءة الحرف في ناديك قد وثبـت — وفي سواك صميم الحرف لم يثـب
حسب المرائين في نجواك ما وهبـت — يمناك للكون .. من عطر ومن نشب

فيا جبين العلى والمجد .. يا وطنـا — على يديه انتهت اسـطورة الحقـب
اعيـذ مجـدك من كيـد يـراد بـه — مقاتلا ما شـكت يومـا من العطـب
نجواك للحـب دوما .. غير ان يـدا — تبـث فيـك سموم الحقد والريـب
تبدي اليك الهوى عطفا .. وما كتبت — في الحق يحكى هوى حمالة الحطب
أن قيل أن الشذى لبنان من زمـن — دعوى عروبتـه ضرب مـن الكـذب
بنـو اميـة مـن اغنـى كتائبهـم ؟ — ومن تنادى الى فتـح ولم يخـب ؟
عروبة في بنيك الصيـد تعرفهـا — اقيـال كسرى وجمع الروم في حلب
ابناء (بصرى) بنو معروف اخوتهـم — من جرحوا جبهة المحتـل بالقضـب
ارومة من صميم العرب مـا وهبت — غير الفـداء .. لدى وقع من النوب
منك القرابـين للفصحى غساسـنة — بيض الوجوه نمتهـم امـة العـرب
ما زال في كفنـا عطر .. وفي فمنا — شـهد لمغترب منهـم .. ومقتـرب
اجراس مجـدك ان دوت بعاليـة — فالاذن تعشقها .. للحب والنسـب
فالحب قلبان فيالدنيا .. وفيك هما — وحي الضمير .. وفكر دائم الفلـب

لبنـان .. فليتخذ من يجتوي نفقـا — فيالارض.. اوسلمافيالجوىوليعب
فالكيـد والعذل من بعض حقيقتـه — لمع السراب .. وتبقى انت كالشهب

الكويت — مقبل العيسى



بقلم عبد الحميد الانشاصي

منذ سنين طوال وزهدي يصنع الاحذية . انه يجلس الى طاولة قديمة تعلوها قطع من الجلد ومسامير صغار ومطرقة وسكين وغراء . وهو يثبت المسامير في النعال تارة ويقطع اطراف النعل الزائدة او يرققها اخرى . انه بارع في صنع الاحذية. وهو يفخر بأنه صانع احذية ، فقد قال لصديق له ذات مرة : « ما الفارق بيني وبين الموظف ؟ ان الموظف مثلي يجلس الى الطاولة لينجز اعماله . غير ان الموظف يمسك القلم ، وانا امسك السكين . وهو يقلب بين يديه الاوراق والاضابير ، وانا اقلب الجلود . وهو ينتج بقلمه كتابا ، وانا انتج بسكيني حذاء . ولكنني حر ، وهو خاضع . ان للموظف رئيسا يوجهه ويحاسبه، وانا حر افعل ما اشاء » .

واخوه فهمي صانع احذية مثله ، وهو شريكه في الحانوت . غير انه متعلم ومثقف قليلا ، وزهدي امي . ذاك يرتدي ملابس جديدة وانيقة وان لم تكن فاخرة ، وهذا يرتدي ملابس فضفاضة قذرة تحمل شيئا من الغراء ووسخ الجلود التي يقطعها ، وفيها بعض رائحة تلك الجلود . ويداه جافتان متشققتان من كثرة جذب الخيوط وطرق المسامير وانتزاعها . زهدي مثابر على عمله اذ هو الشيء الوحيد الذي يجد فيه اقصى متعته . انه ملهاه ودنياه . اما فهمي فهو لا يستقر على حال . يجده الناس تارة مكبا على صنع الاحذية ازاء اخيه ، وتارة واقفا في باب الحانوت يتفرج على المارة من الناس وهم يسيرون على رصيف الشارع ، وطورا جالسا بعيدا عن طاولة العمل يقرأ جريدة او فصلا من رواية غرامية او يسرح نظره في مجلة مصورة ، وطورا يشرب كأسا من اللمونادة من بائع قريب منه ، او متحدثا مع احد الزبائن في الحانوت عن امور تتعلق بالاحذية او عن امور تتعلق بأخبار الناس .

« زهدي رجل صالح تقي رزين ماهر في صنع الاحذية موفق في عمله » .

(زهدي رجل مجمد التفكير زاهد في حانوته غير مخلص لزبائنه اذ يبيعهم احذية مغشوشة ويتلاعب بالاسعار ، فهو يرفع السعر للمغفلين ويخفضه للمحترسين) .

« فهمي شاب طائش يترك المسؤولية لاخيه ويضيع اوقاته في العبث والثرثرة ، وهو لا يفهم من اسرار صناعة الاحذية شيئا » .

(فهمي شاب متفتح على الحياة . انه ابن عصره ، يعرف كيف يقضي اوقاته ويعتصر منها لذاته . انه خبير بصنع الاحذية ، ولكنه يحترم اخاه الاكبر زهدي اذ يقول للزبائن :



« ان اخي صانع احذية قدير ») .

بذل الاخوان جهدا شديدا في صنع احذية انيقة وجذابة لكي يكتسبا عددا ضخما من الزبائن ، ولكنهما لم يجنيا شيئا غير الخسارة والفشل . ان ايجار الحانوت ضخم - اربعمائة دينار في السنة . ونفقات الاسرة كثيرة . ودخل الحانوت لا يفي بالايجار ونفقات الاسرة . زهدي متزوج وله عدة اولاد . وفهمي وان يكن عزبا لا ينقطع تفكيره عن البحث عن فتاة يتزوج بها ، ولكنه لا يستطيع ان يدخر نقودا للزواج . وهناك ام الاخوين ، وهي عجوز كثيرة العلل . وكثيرا ما انفق ابناها عددا كبيرا من الدنانير في سبيل شراء ادوية لمعالجتها .

فكر الاخوان كثيرا في الطريقة التي يتمكنان بها من جمع ثروة تضمن لحانوتهما الازدهار وللاسرة الرفاهية والهناء ، ولكنهما عجزا عن ذلك . والان تقدم زهدي في السن . وقد بدأ تقدم السن على شعره فانه اضحى مؤلفا من شعرات تكاد تطير عن جلدة راسه من قلتها وخفتها ، لو لم يوحد بينها بزيت لزج ويمشطها على جانب من راسه بدلا من ان يمشطها الى أعلى راسه كما يفعل الشباب . وفهمي اضحى فاقد الصبر على العزوبة ، فهو كثيرا ما يرى واقفا في باب الحانوت وهو يجيل نظرات ملتهبة في وجوه الحسان المارات على رصيف الشارع امامه .

واخيرا قال فهمي لاخيه :

- حتام نظل يا اخي صامتين ونحن نكابد من الخسائر ما لا بد من ان تنتهي به حياتنا بكارثة من كوارث الافلاس ؟ اما آن لنا ان نضع حدا للنقود التي نستدينها من الناس ؟

(انك ماض في عملك بدون تفكير في النتيجة . واراك لا تصحو الا حينما تحجز محتويات حانوتنا) .

فرفع زهدي وجهه عن الحذاء الذي بين يديه ، والقى على اخيه نظرة مخطوفة ، ثم صب نظرة على الحذاء قائلا :

- وماذا تريدني ان افعل ؟ لقد فعلنا كل ما يمكننا ان نفعله ، ولكننا ما زلنا كما كنا . هذه ارادة الله . وهكذا الصناعات : مرة تغني ومرة تفقر . ولكننا متستورون والحمد لله .

فأطلق فهمي تنهدة عميقة حارة ثم قال :

- ولكن ينبغي لنا ان نفعل شيئا.

فقال زهدي دون ان يرفع نظره عن

الحذاء :

– ماذا تقترح ؟

(ادل بشيء من آرائك الطائشة لاستمع) .

وبعد برهة من التفكير اجاب فهمي وهو يلقي نظرة امامه :

– نغير صناعتنا .

فانتفض زهدي سخطا واستياء واستغرابا رافعا وجهه عن الحذاء بسرعة غريبة ، ثم التفت الى اخيه قائلا في عبوس واستنكار :

– ماذا تقول ؟ نغير صناعتنا ؟

(امجنون انت ؟) .

فهز فهمي راسه مؤكدا وقال :

– نعم .

(لماذا تريد أن تلتهمني بنظراتك ؟ ماذا جرى لك ؟) .

– كيف ؟ اية صناعة تؤثرها على صناعتنا ؟ ان صناعتنا هي اشرف الصناعات وافضلها .

ان الصناعات والمهن الشريفة في الدنيا كثيرة . وما علينا الا ان نختار احداها .

(يمكننا ان نبيع دجاجا او اقمشة او نوفوتيه او بقولا مثلا) .

– مثل اي شيء ؟ .

– يمكننا ان نبيع دجاجا .

– نبيع دجاجا ؟ . دجاجا ! هه ! هه ! هه !

(ما اسخف اقتراحك !)

وكان فهمي يحدج اخاه وهو يقهقه . ولكن زهدي ما زال يقهقه غير مبال بنظرة اخيه النارية التي صوبها الى عينيه . وقال فهمي في اصرار :

– نعم ، نبيع دجاجا . الا تعجبك هذه المهنة ؟ .

(اراك عاجزا عن القيام بأي عمل غير صنع الاحذية) .

فأجابه زهدي مبتسما في سخر :

– كل الإعجاب .

ثم هز راسه في استنكار بدون ان يفوه بكلمة . وبعد هنيهة من الصمت قال وعلامات الجد مرتسمة على وجهه :

– انبيع الدجاج بعد احتراف صنع الاحذية ؟

(الا ترى الفارق بين تلك الصناعة وهذه المهنة ؟) .

– وماذا في ذلك ؟

– كيف : وماذا في ذلك ؟ ان صناعتنا ارقى من مهنة بيع الدجاج القذرة . انك تقصد بيع الدجاج المذبوح . أليس كذلك ؟.

– بلى ، بيع الدجاج المذبوح . المهم ان نربح لا ان نفخر بصناعتنا .

(الا ترى الفارق بين دخل صناعتنا ودخل بيع الدجاج ؟) .

– ان ما تقوله صحيح . المهم ان

عبد الحميد الانشاصي

●

نربح لا ان نفخر بصناعتنا . هذا صحيح . اوافقك على ذلك ، ولكن لا تنس اننا قضينا شبابنا في تعلم هذه الصناعة . وهي فضلا عن ذلك صناعة ابينا وجدنا . فكيف نتخلى عنها ؟

(اننا ان فعلنا ذلك سخر الناس منا) .

– ولكننا مرغمان على ذلك بحكم الضرورة . ماذا نصنع ؟ ان ظللنا هكذا افلسنا .

(ان الوقت وقت جد . دعنا الان من صناعة الاباء والاجداد) .

ثم ساد الصمت بين الاخوين ، واستغرقا في التفكير للوصول الى حل مرض . كانت يدا فهمي ملقاتين على فخذيه . وكانت شفتاه منطبقتين في حزم . وكانت عيناه مصوبتين الى اخيه في انتظار اقتراح يدلي به . وكانت يدا زهدي ملقاتين على الطاولة ، وقد امسكت احدى يديه بكعب الحذاء ، وامسكت اليد الاخرى سكينا . وكان فمه مفتوحا ، وعيناه تلقيان نظرة ذاهلة على الارض . واخيرا رفع زهدي نظره عن الارض فجأة ، والتفت الى اخيه قائلا :

– هناك فكرة .

– ما هي ؟

– ان نغير شكل نافذة العرض في الحانوت ، وان نغير جميع اثاث الحانوت . نشتري طاولتين جديدتين من نوع فخم ، ونوسع نافذة الحانوت ، ونبني حول النافذة بروازا من حجارة صفار حمر انيقة ، ونحضر خزائن من الفورميكا لوضع علب الاحذية فيها . فما قولك ؟

فكر فهمي مليا ، ثم اجاب وهو يسرح نظره في الابتسامة التي ولدها الاقتراح على وجه اخيه :

– ولكن ذلك لا يعود علينا بنفع يا اخي . اننا نبقى على ما نحن عليه . هذا لا يفيد .

(كأنك تريدنا ان نتشبه بالجمل الذي يدور حول معصرة السيرج) .

– لماذا ؟ كثيرون فعلوا بحوانيتهم كما اقترحت فنجحوا .

(ان اقتراحي في محله ، ولكنك عنيد دائما) .

لم يجد فهمي بدا من ان يساير اخاه ليريه كيف تكون النتيجة لعله يوافقه بعد فشلهما اثر تغيير اثاث الحانوت على احتراف بيع الدجاج ، فقال له :

– حسن ! فليكن ذلك .

استبدل الاخوان باثاث الحانوت اثاثا اخر انيقا جذابا . وقد لفتت نافذة الحانوت الزجاجية الواسعة

انظار الناس بما يبعثه زجاجها السميك من لمعان وبالحجارة الحمر الصفار وبالفسيفساء الجميلة التي تحدق بها . لقد بدا الحانوت حانوتا اخر . كان صاحبيه من الاثرياء الكبار ولكن بضاعته بقيت على ما هي عليه . الاحذية كما هي وان كانت موضوعة في علب مصفوفة في ثقوب خزائن انيقة من الفورميكا . وكان المتفرجون يقف بعضهم هنيهة خارج الحانوت وهو يسرح نظره في المعروضات القائمة في نافذته ، ثم يمضي في سبيله في صمت . وكان بعضهم يدخل الحانوت وهو يتلفت حوله معجبا ، ثم يقضي بضع دقائق وهو يتحدث الى الاخوين عن روعة الترتيب واناقة الاثاث ، ثم يخرج من الحانوت دون ان يشتري شيئا . وقليلون هم الذين يشترون احذية منهما . فغاظ ذلك صاحبي الحانوت ، وندما على ما انفقا من اموال مستدانة على تغيير اثاث الحانوت واظهاره في مظهر جذاب ، وايقنا انهما كانا في غنى عن ذلك . وكان فهمي يبتسم من حين الى اخر في صمت وهدوء على مرأى من اخيه . كاد زهدي ينفجر سخطا ، فقد ادرك ان اخاه يسخر منه ومن اقتراحه الذي حداهما على تغيير اثاث الحانوت . مضت ايام طوال وفهمي يبتسم في صمت وهدوء ، وزهدي ينظر الى ابتسامته في سخط وغضب . وكان هذا ينتهر اخاه في بعض الاحيان في امور لا تبعث على الانتهار . وكان فهمي يدرك ما يرمي اليه أخوه . واخيرا فاتحه بما في نفسه قائلا :

– امسرور انت الان يا اخي ؟ ها قد غيرنا أثاث الحانوت وفعلنا كما اقترحت . فماذا استفدنا بعد ذلك ؟ ان دخل الحانوت ما زال كما هو ، وما زلنا مدينين . كان ينبغي لنا ان نوفر المال الذي استدناه وانفقناه على صنع خزائن الفورميكا وتوسيع نافذة الحانوت وبناء حجارة حمر وفسيفساء دقيقة .

(انك عنيد لا تصغي الي لانني اصغر منك سنا . هذا هو سبب عنادك . انني احترمك واعتبرك كوالدي لانك اكبر مني سنا . لقد آن لك الان أن تعمل بنصيحتي وتنفذ اقتراحي) .

فقال زهدي بنغمة يائسة حزينة :

– ماذا تفعل ؟ هكذا اراد الله .

– ما قولك في مهنة بيع الدجاج الان ؟ .

(اظن انك توافقني الان) .

فنظر زهدي الى اخيه في ذبول وأجاب :

– الا تزال تفكر في هذه المهنة القذرة ؟

(ربما كانت خيرا من صناعتنا البائرة ولكن ..) .

– أؤكد لك انها تدر علينا ربحا غزيرا فقد اثرى كثيرون من التجار بممارستها . انظر الى ربحي العامدي والى أيوب احمد ويوسف رشيد . كلهم يبيعون دجاجا مذبوحا وبيضا . وهم يربحون ارباحا طائلة . انني اعلم ذلك ، وانت ايضا تعلم ذلك . دعنا نجرب . وان خسرنا فاللوم يقع علي .

فهز زهدي راسه في اباء وقال :

– لا ، لا . لا استطيع . لقد تعودت ممارسة تلك الصنعة منذ ثلاثين عاما . وانت ايضا مضى عليك نحو خمسة وعشرين عاما وانت تزاولها . وهذه الصناعة هي صناعة ابينا وجدنا .

(الان تريدني ان اغير صناعة الاحذية – بعد ان كبرت ؟) .

فقال فهمي في هدوء :

– وان يكن ؟

(انك جبان . جبان . لا تثق بنفسك) .

فقال زهدي في غضب :

– انني اشعر حينما اتخلى عن صناعتي كأنني تخليت عن وطنيتي وشخصيتي .

فاقترب فهمي من اخيه ، وامسك بيديه في لطف وتحبب ثم قال :

– اسمع يا زهدي . ليس الحانوت هو الذي بحاجة الى تغيير بل نحن في حاجة الى تغيير – في حاجة الى الاستقامة في المعاملة ، وفي تحديد اسعار الاحذية تحديدا لا يزيد فلسا واحدا ولا ينقص فلسا واحدا مهما كانت عقلية الشخص الذي يريد شراء حذاء له . كان ينبغي لنا الا نقدم احذية مغشوشة لا تدوم طويلا . لم نكن صادقين في اقوالنا ولا مخلصين في عملنا . وقد اخذ الزبائن والناس هذه الفكرة عنا . لقد رسخت في أذهانهم فانفضوا عنا وابتعدوا عن حانوتنا . ونحن الان بحاجة الى تغيير . ولكننا لا نستطيع ان نغير ما بانفسنا في حانوت بيع الاحذية . علينا ان نتجدد ، ونحترف بيع الدجاج ، وان نبتعد عن هذه السوق ونفتح حانوتا في سوق نائية حيث نجد مجالا لتجديد نفسينا – حيث نعامل الناس في صدق واستقامة ، ونقدم اليهم دجاجا جيدا وبيضا ممتازا .

(اراك الان مقتنعا . لقد اقنعتك بكلامي . هذا ما يبدو عليك ، فقد اصغيت الي بلا مقاطعة . ان كلامي منطقي) .

– ولكن ليس لدينا خبرة بالدجاج .

– يمكننا ان نستعين بأحد الخبراء .

وبعد هنيهة من الصمت والتفكير قال زهدي في حزن ويأس .

– لا ، لا . لايمكننا أن نغير حرفتنا . هذا محال . اننا ان فعلنا ذلك تهكم الناس بنا واضحينا موضوع سخرهم وهزئهم .

– انك واهم . هذا ما يخيل اليك . أؤكد لك اننا سوف ننجح . توكل على الله .

(لقد خاب ظني بك) .

– لا ، لا . لا استطيع لا استطيع .

على قبر أمي

مــا لحزني وان توارى انتهــاء ... ودموعي ، يــا روح روحي دمــاء
آه مــن قسوة الفراق اذا مــا ... كان دهــرا لا يعتريــه انتهــاء !
أي صمت يــا أم هــذا فاني ... بح فــي خافقي المعنــى النــداء
أي عيــد هــذا وأنت بجنبي ... رمــة فــي ضريحهــا خرســاء
لذعتني مــذ لاح رمسك نــار ... ما لهــا فــي صميم قلبي انطفــاء
أيــن ذاك الوجــه الرزيــن يصلي ... فوقــه الثغــر ، أيــن ذاك الرواء
أين سحر الحديث يسطع كالشمـ ... ـس ، أيــن البشاشــة الزهــراء
كنت لي ـ والوجود بيداء جدبـ ... واحــة كلهــا ظــلال ومــاء
كنت صرحا من رحمة ، كنت دنيا ... مــن وفاء فاين أيــن الوفــاء
أفراق هــذا الــى أبــد الآ ... بــاد أم بعــده يحيــن لقــاء ؟
مات صبري ، فكيف أنفق عمري ... دون أم ، وكيــف كيــف العــزاء
لوعتي كالجحيم فــي كــل يــوم ... كيف تخبــو وزيتها الاحشاء ؟

بغداد — **حارث طه الراوي**

فصاح فهمي ساخطا :

ـ انك قابع في حانوتك . اخرج من هذا الحانوت . اخرج من بيت السلحفاة . اخرج الى عالم اخر حيث تصبح شخصا اخر وتكسب من حرفتك ربحا اخر . انــزع فكرة صناعة الاباء والاجداد من ذهنك . واجه الناس بقلب جريء ونفس صريحة وحينئذ تنجح وتصبح من الاثرياء . افاهم انت ما اقوله لك ؟

(أصوات من الداخل : انني اكثر منك اطلاعا على ما في الكتب من افكار سامية . لذلك انا اكثر منك تفكيرا ، ورايي سديد ورأيك خاطىء . فما عليك الا أن تعمل بما اقوله لك وان كنت اكبر مني سنا . لقد مضى الزمن الذي يقدر فيه الشخص بعدد السنين التي عاشها ، وجاء الزمن الذي يقدر فيه الشخص بعدد الكتب التي قراها وفهمها وبنوع التفكير الذي ينتجه) .

(منظر في الداخل : يهاجم اخاه ويصفعه ، ثم يزيحه عن الكرسي ، ويجلس في مكانه ليدير الاعمال بدلا منه)

★

« ـ أمي ! ان فهمي اضحى مجنونا . ـ كيف عرفت ذلك ؟ ـ انه يريد ان يتخلى عن صناعة الاحذية التي كان يمارسها والدي وجدي لنمارس مهنة بيع الدجاج والبيض ـ هذا مجنون . ماذا جرى لعقله ؟ ـ لقد ثار علي بصورة غريبة فقد فيها توازنه وتكلم كلاما غريبا أعلمني به انه علي أن اغير شخصيتي . ـ مسكين ! لقد جن » .

« ـ حبيبتي سكينة ! انك لا تعرفين ماذا جرى بيني وبين اخي فهمي . ـ ماذا جرى له ؟ ـ انه يريدني أن اتخلى عن صناعة الاحذية لابيع دجاجا وبيضا . هل رايت رجلا اسخف منه عقلا ؟ لقد جن . ـ ماذا جرى له ؟ ـ يريدني ان اغير شخصيتي لكي اصيب نجاحا واصبح غنيا . ـ هذا مجنون » .

ـ « ماذا جرى لك يا بني ؟ كيف تتخلى عن صناعة الاحذية وتفتح حانوتا لبيع البيض والدجاج ؟ ـ ان ذلك خير من الافلاس . وهل في مهنة بيع الدجاج والبيض عار ؟ ـ ان اخاك لا يوافق على ذلك . ـ ان لم يوافق على اقتراحي تركت له الحانوت وانفصلت عنه لامارس تلك المهنة » .

ولكن زهدي وافق اخيرا ـ وافق مرغما ، فقد نصحته امه وزوجته بألا يعمل وحده في حانوت بيع الاحذية تاركا اخاه يمارس مهنة بيع الدجاج والبيض .

وفتح الاخوان حانوتا لبيع الدجاج والبيض . مضت بضعة اسابيع كانا فيها موضوع سخر بعض الناس وهزئهم . ولكن بعد مضي بضعة اشهر كان الاخوان في خلالها مثالا يحتذى في حسن المعاملة والصدق والاستقامة والاخلاص والقناعة ، مما جعل الناس يقبلون على شراء ما يعرضانه من دجاج وبيض . وبعد مضي بضع سنوات اصبح الاخوان من الاثرياء البارزين في المدينة .

عمان — **عبد الحميد الانشاصي**



الكأس الاخيرة

مجموعة قصص – تأليف ابراهيم المصري – ١٣٦ صفحة – سلسلة كتاب اليوم – منشورات مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة

يندر بين كتابنا القصصيين من توافر له ما توافر للكاتب القصصي الكبير الاستاذ ابراهيم المصري من ثقافة واسعة عميقة احاطت بمختلف التيارات الفكرية والفنية التي عرفتها الانسانية في ازهى عصورها . وقد تجلت آثار تلك الثقافة في العديد من مؤلفات كاتبنا التي اربت على الاربعين والتي ظلت تتوالى منذ فجر النهضة الادبية الحديثة عندنا في الثلاثينات من هذا القرن حتى يومنا الحاضر . وقد تنوعت الموضوعات التي تناولها الكاتب في مؤلفاته بين دراسة ادبية جادة رصينة ، وتعريف شامل بمذهب من مذاهب الفكر ، وترجمة مركزة دقيقة لعظيم من عظماء الادب او الفن ، الى غيرها من معالجات واعية مخلصة لبعض مشكلات حياتنا الادبية والاجتماعية . فضلا عن اسهام مؤلفنا القدير في بداية الحركة المسرحية الاولى بمسرحيتين كانت احداهما هي اول مسرحية مصرية بقلم كاتب مصري مثلت على مسرح رمسيس ، وحالت الظروف البائدة دون ان تمثل الاخرى ... ثم اصداره لمجلة « التمثيل » التي ساندت تلك الحركة وانارت لها الطريق .

والحديث يطول من غير شك اذا رحنا نتابع بالعرض المفصل مظاهر نشاط هذا الرجل وآثره العظيم ودوره الطليعي الممتاز في خدمة الادب والفكر وتقدمهما . حتى كان من جراء اسرافه في بذل نشاطه الجبار ان وقع فريسة مرض عطل نشاطه الفكري مدة اربعة اعوام كاملة . ويكفي للالمام ببعض هذه الجوانب ان نحيل القارىء الى تلك الدراسة التحليلية المركزة الخصبة التي وضعها عام ١٩٦٥ الكاتب الصحفي الاديب الاستاذ فوزي سليمان في كتابه « ابراهيم المصري : حياته وادبه » . وهو الكتاب الذي قوبل بترحيب بعض الادباء وسكت عنه اخرون ضنا بالكلمة المنصفة التي قد تكلفهم بعض الجهد .

واذا كان ابراهيم المصري قد انقطع او كاد لكتابة القصة حتى لم يعد يعرفه الجيل الاخير من قرائنا الا بانه كاتب القصة الرفيعة ، او صاحب الرأي الرشيد في مشاكل الاسرة ، وتربية النشء ، وصيانة الافراد والجماعات عاطفيا ونفسيا وخلقيا – فقد انفرد كاتبنا على كل حال في مجال القصة وحده – ولا نتعرض هنا لغيره من مجالات نشاطه الاخرى – باسلوب متميز فيه من صدق الانفعال وحرارة العاطفة ودقة الملاحظة وجمال العرض ما ينهض بفن القصة نفسه ويرتفع به الى درجة عالية . ولا عجب فهذا الرجل وقد عب من مختلف الثقافات وشارك في ميادينها المتعددة ، قد استفاد لا شك من كل هذا خبرة وثيقة ومعرفة بالنفس البشرية في اطوارها المتلاحقة ، فاتسمت اعماله القصصية بطابع الاصالة والعمق والتمكن . ولا نقول تبعا لهذا ، كما قد يتبادر الى الذهن ، ان اعماله تلك قد صيغت اساسا لتبرهن على فكرة معينة او تشير الى اتجاه محدد . فقد بقيت تلك الاعمال دائما لا تستمد الا من نبع الحياة الاصيل ، ولا توفيء الا الى تيارها الصادق المنطلق – رغم ما يعكره احيانا – نحو غايتها المثلى ... ولا ضير اطلاقا على الكاتب القصصي ان يكون واسع المعرفة عميقها بشرط الا يقحم على العمل الفني نفسه فكرته الخاصة بطريقة قد تؤثر على جوهر العمل وتشوش نظامه . وكاتبنا قد عرف بانه : « اقدر كاتب عربي على تاليف القصة وبنائها وتنسيقها وحبكها وفق اكمل الشروط الفنية » . ذكر هذا عنه اكثر من باحث . والعبارة المتقدمة مأخوذة مما اورده الاستاذ فوزي سليمان في كتابه السالف الذكر نقلا عن مقال « خمسة مبدعون في الادب العربي » الذي كتبه المستشرق الايطالي « جويدو سفورزا » في مجلة « الاسترادا » التي تصدر في ميلانو .

والحق ان ابراهيم المصري يقف من هذا الفن الرفيع ، فن القصة، موقفا ينطوي على تقدير خاص لهذا الفن . فهو لم يختر جزافا ان يكون كاتبا قصصيا . لم يختر القصة ميدانا لنشاطه المبدع الا بعد ان صهرته التجارب . تجارب عديدة متنوعة . عاطفية واخلاقية وفكرية . خلص منها جميعا – على ما نرى – بان القصة هي اصدق معبر عن روح الانسان ، بعد هذين الفنين العريقين عراقة البشرية وهما : الشعر والموسيقى . ولهذا شاع في اسلوب الكاتب هذا الولع بموسيقية العبارة ، وانتشرت فيه تلك الروح الشعرية التي قلما تخلو منها اعماله . وهو على وجه الاجمال لا يترخص في فنه القصصي ابدا . فاسلوبه دائما وثيق التركيب ، متين العبارة ، مشرق ونابض ومؤثر بحيث يجوز لنا ان نقول انه يرتفع في بعض المواطن الى درجة الشعر الخالص ...

وتلك الخاصة النادرة يعرفها ويقدرها القارىء المتذوق لروائع الادب عموما وان لم يكن من قراء القصة المدمنين على قراءتها . وهي خاصة تجذب الى القصة طائفة ممتازة من القراء وتكسب القصة نفسها بقاء وتجددا يدومان ما دامت العربية محتفظة بطابعها الاصيل وجوهرها الثابت ورونقها البديع . فالعمل الجيد لا يعيش حقا الا باسلوبه . كما قال الكاتب نفسه في بعض احاديثه بالتليفزيون العربي . وهكذا تناول ابراهيم المصري في مجموعاته القصصية الكثيرة معظم ما تستطيع القصة ان تتناوله من شؤون الحياة العاطفية والاجتماعية في اطاريها المحلي والعالمي . وهو لم يقتصر على كتابة القصة العصرية وحدها وانما كتب القصة التاريخية ايضا . وكتبها بروح تستطيع الاندماج الكامل في جو العمل القصصي مهما اختلفت ظروفه وتباعدت ازمنته .

وهذه المجموعة التي صدرت حديثا في سلسلة « كتاب اليوم » بعنوان « الكأس الاخيرة » هي من هذا اللون التاريخي النابض . وقد ضمت المجموعة عشر قصص تنقل فيها المؤلف من مصر القديمة الى جزيرة العرب الى بلاد الصين ففارس فالاغريق فالروم فروسيا فاسبانيا . وقدم لنا في كل قصة لونا شائقا فريدا يصور في دقة ومهارة نمطا خاصا من انماط التفكير والحس والشعور يندمج ويتلاءم مع ذلك المرمى الانساني العميق الكامن في صميم الحدث الذي يتصوره الكاتب ويجريه ضمن اطاره الزمني الخاص .

والملاحظ على هذه المجموعة بصفة عامة انها تخلو او تكاد من نزوات الحس وثورات الجسد . فلا يرتوي فيها الحس حتى الامتلاء . ولا يكاد يصيب بعض الري دون ان يصطدم بمثل اعلى اخلاقي او جمالي يدفعه عن غايته . وسيظل هذا الكلام دون مفهوم محدد ما لم نقدم الامثلة التي تحدده من واقع العمل القصصي نفسه . ولنبدأ باولى قصص المجموعة وعنوانها « اللهب » وهي قصة فتاة على جانب كبير

من الجمال وبساطة الفطرة ونقاء السريرة اقترنت على الرغم منها بكهل في سن والدها وظلت تفتقد الى جانبه عاطفة الحب الكامل حتى باغتتها ممثلة في شاب وفد للعمل في مزارع زوجها . ولكنها كانت بحكم ما جبلت عليه من طهارة ، لا تذعن لغير الواجب ولا تستمع الا الى صوت الضمير . فلم تتجاوز بعاطفتها نحو هذا الشاب نطاق العواطف المجردة . وكانت مع هذا تعاني كثيرا وتتعذب . ولقد امسى عذابها فوق الاحتمال عندما انجبت من زوجها الكهل طفلا وجدت لدهشتها انه صورة مطابقة مختلجة حية لحبيبها نفسه . فحارت واختبلت . ولجأت مرارا الى « تويريس » وفي ليلة عاصفة اندفعت الى مسكن الشاب . وخلال حوار قصير مضطرم ومؤثر توسلت اليه بحبهما الصادق النزيه ان يرحمها ويغادر القرية فور تصفية اعماله مع زوجها والا اهلك نفسه واهلكها ... وفي صبيحة الغد قابلت خبر رحيله عن القرية بعدم اكتراث تظاهرت به واحتضنت طفلها شاردة ثم انطوت متجلدة على جرحها الغائر المقيم .

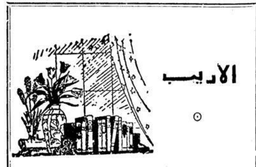
والقصة كما ترى تستند الى صراع عنيف غايته الوفاء للزوج . وتنهض على حقيقة علمية تكاد لغرابتها تلحق بالخوارق وهي هذا التشابه التام بين الطفل والحبيب رغم انعدام العامل الجسدي بينها وبين من تحب . ولكن القصة مع هذا قد صورت تلك الصراعات الحادة العنيفة المتعاقبة التي اشتعلت في كيان المرأة والهبت مشاعرها ، تصويرا يكاد يطغي بدقته وروعته على ذلك المبدأ الاخلاقي وتلك الحقيقة العلمية حتى يغيبهما في اطوائه الساحرة . ومن هذا جميعه على ما اعتقد جاءت تسمية القصة ب « اللهب » . وهذا اللهب يلفح دائما ولكنه لا يحرق . ـ وتجري احداث القصة في مصر الفرعونية بطقوسها الرائعة ومناظرها الخلابة وعاداتها ونظمها وتقاليدها اللطيفة ـ وان وصف الفتاة نفسها في نشأتها البريئة الحرة الصافية بين مزارع والدها ، هذا الوصف وحده يعد في نظري من روائع الوصف الدقيق المعبر . وتلك ميزة قلما يلتفت اليها ـ في ادب هذا الكاتب ـ من يعنون بملاحقة الحدث القصصي دون غيره .

واذا كنا قد اسهبنا في الكلام حول هذه القصة الاولى من مجموعة « الكاس الاخيرة » فليس لانها اقوى قصصها ولكن لاننا سوف نحتاج دائما الى مثل هذا التقييم حين ننظر في اي عمل لهذا الكاتب او نحاول الكشف عن مغزاه . وليس في نيتي ولا ذلك مما يتسع له هذا المقال ، ان استعرض قصص المجموعة كلها . وانما اكتفي بعد هذه القصة الاولى بالاشارة الى المضمون النهائي لكل من القصص الاربع الآتية : « شادية النيل » و « حارس المعبد » و « الكاس الاخيرة » و « الاغراء » .

وقد وقع اختياري على تلك القصص الاربع لسهولة الاشارة الى المرمى النهائي لكل منها دون اي اعتبار يدخل في باب التقييم . فثمة بين القصص الاخرى قصصا يقف القلم حيال وصفها او تحليلها معجبا كقصة « ... وبدأت المعركة » . وهي قصة طويلة نوعا وتجري احداثها بين الهند وجزيرة العرب . وهي قصة الشهامة والنبل العربيين وفيها من جلال التضحية وروعتها ما يعجز عن تصويره ووصفه قلم لم يمتلك ناصية الوصف او لم يستمد من نبع العبقرية .

ونشير تباعا الى القصص الاربع التي اخترناها مستهدفين كما ذكرنا مغزاها العام دون تفصيلها . فمغزى « شادية النيل » في نظري هو تعثر مسعى الفنان احيانا للوصول بفنه الى ذروة الابداع الكامل . اذ تكون الحياة ـ وهي مصدر كل الهام حقيقي ـ قد افلتت منه . وهو في ادراكه لهذا التعارض الجبار وسعيه الى ازالته او تخفيفه يصطدم بالكثير من العقبات التي قد تحوله مرغما عن غايته وتحمله على ركوب المخاطر مما يسوقه في النهاية الى العزلة او يدفعه الى الانتحار . (كما حدث لبطلة القصة وهي فنانة مغنية) .

واما مغزى « حارس المعبد » فهو في نظري ايضا فقدان التوازن



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

احيانا فيما يريده الانسان لنفسه من طهارة علوية بعد ان يكون قد تمرغ طويلا في طين الشهوات ـ هذا من ناحية . واما من الناحية الاخرى فالقصة تشير ايضا الى تحطم حلم الانسان الاعلى عندما يتكشف لنا مثال الطهارة نفسه .

وغير هذا وذاك هو المغزى المستفاد من قصة « الكأس الاخيرة » فهي قصة الكهولة المستنيرة المهذبة. تقترن فيها اللهفة على ما بقي من متع الحياة ، بذلك الاحساس العظيم بالواجب الى تقدير خاص للجمال ورغبة صادقة في اجلاله . ولهذا يتوارى الفنان الكهل بطل هذه القصة في صمت حزين عن مسرح القصة وربما يكون قد توارى ايضا عن مسرح الحياة دون ان تعرف نهايته ... تاركا وصيته لزوجته الشابة الرائعة الجمال بجميع ما يملك انقاذا لها من انانية كهولته ومن استبداد غيرته .

واما قصة « الاغراء » فهي تمثل مأساة الضمير في نفس قاض ، عليه ان يحكم بالعدل وان يكون مثالا وقدوة في نبل النفس ونزاهة القصد . ولكنه ضعف تحت تأثير زوجته وابنته وولعهما بحياة الجاه والترف وطمعهما الدنيء في المال . فانحرف الرجل وسرق من اجلهما ثم استفاق مخبلا ومذعورا عندما شاهد بعينيه موت المرأة التي سرقها. فتجسمت له فعلته المنكرة ، وردت اليه احساسه بانه قاض يمثل العدل والحق . فما كان منه الا ان قاوم الاغراء ما استطاع ورد الى اولياء الامر ما سرق . فاضطهدته امرأته وابنته ، وجعلت كل منهما تنغص حياته ، وتعيره بمثاليته ، حتى مات الرجل ذليلا ومقهورا ودفع غاليا ثمن ضعفه وخيانة المبدأ الذي كان مخلصا له طوال حياته.

والرائع في هذه القصة هو التحليل العميق ، والدقة في تصوير الصراع بين سطوة الاغراء وواجب العدل ، بين شخصية السارق التي استولت بغتة على رجل القضاء ، وبين هول ما استيقظ عليه من عواقب السرقة ممثلا في جريمة اخرى افظع منها وهي القتل ...

فالقصة ولا شك عمل فني ممتاز ، وهي تحفة شائقة في ادبنا العربي .

وعلى امثال تلك المضامين البديعة يقوم البناء المتكامل لسائر القصص . وبديهي اننا لم ننتزع بعض تلك المضامين لنمليها على ذهن القارىء . فقد ننتزع مضمونا وينتزع قارىء غيرنا سواه . وهنا تكمن قيمة العمل الفني الكبير بقدرته دائما على الايحاء . بينما يظل العمل في ذاته فريدا ومرتفعا ومتالقا .

طنطا ـ ج٠ع٠م٠ — ابراهيم سعد الجندي

•

ادبنا الضاحك

تأليف عبد الغني العطري ـ ٣٧١ صفحة ـ منشورات دار النهار بـيروت ـ

كلفتني هدية صديقي الاستاذ عبد الغني العطري ، الا وهي كتابه الجديد الممتع « ادبنا الضاحك » ان اعود الى مكتبتي ، أبحث عما فيها من دراسات تتعلق بهذا الموضوع ، فعثرت على كتاب « الضحك » لبرغسون ، وكتاب « الفكاهة في الادب » للدكتور محمد احمد الحوفي، وكتاب « الفكاهة في مصر » للدكتور شوقي ضيف ... ولولا هذه المناسبة لبقيت تلك الكتب تنتظر دورها في المطالعة ، ولبقيت محروما من الاطلاع على امتع لون من الوان الادب الذي بقي غفلا من الدراسة والتحليل باجماع من تطرقوا لبحث هذا الموضوع .

ان ادبنا العربي بالاجمال يتهم بالجفاف واليبوسة والعبوس ، فالطلاب مثلا لا يعرفون عنه الا تلك الصورة ، ولست ادري سبب عزوف واضعي المناهج والكتب المدرسية عن التعرض لذكر اللون المرح الفكه الذي يشرح النفس ، ويطلق الاسارير ، في حين ان هجاء ابن الرومي الذي يعتمد على التصوير الكاريكاتوري ، ونثر الجاحظ ، والشدياق وابراهيم المازني ، ومارون عبود .. جدير بان يستقطب اهتمامنا ، ويشدنا اليه .

اذن فادبنا العربي قديمه وحديثه ، رغم هذا الاتهام ، لا يخلو من اللون الضاحك ، ومن يفتش في بطون الكتب التي صنفت خلال عصور الانحطاط يقع على مئات الطرف والملح والنوادر التي وردت دون شرح يشير الى دلالاتها ، او بواعثها النفسية والاجتماعية ، ومن هذه النقطة انطلق صديقنا الاستاذ عبد الغني العطري ، فقد اكب على هذا التراث المهمل يدرسه ويشرحه ، ويبين بواعثه المختلفة ، وليس هذا العمل ببعيد عنه وهو الذي كان ولم يزل يعنى بالفكاهة في حديثه ، وفي مجلته « الصباح » ومن ثم « الدنيا » في باب كان يطلق عليه اسم « الآخرة » يحتل الصفحة المزدوجة في وسط المجلة ، كما كانت يقيم مسابقة اسبوعية دائمة لاحسن نكتة ، وقد اصدر عددا خاصا من « الدنيا » يحمل الرقم ٣٥٤ تاريخ ١٩ اذار ١٩٥٤ تحت عنوان « رفه عن نفسك » جاء حافلا بالموضوعات الضاحكة والنكات الساخرة اللاذعة. ولعل ولعه بهذا الفن دعاه الى تأليف عصبة اواخر عام ١٩٤٨ اطلق عليها اسم « عصبة الساخرين » ولم تعمر سوى اشهر معدودات ، وكانت تهدف الى كما يقول « الى تشجيع السخرية والادب الساخر في دمشق . وكانت تتألف من اثني عشر ساخرا هم : الدكتور عبد السلام العجيلي ، سعيد الجزائري ، عباس الحامض ، سعيد القضماني ، ممتاز الركابي ، نسيب الاختيار ، عبد الرحمن ابو قوس ، احمد عسه ، احمد عاوش ، مواهب الكيالي ، حسيب الكيالي ، عبد الغني العطري .

لنعد بعد هذه الجولة الى كتاب « ادبنا الضاحك » لنتصفح بعض فصوله ، ونقف عند ابرزها . لقد ضم الكتاب اثني عشر فصلا ، وملحقا حوى مختارات من تراثنا الضاحك، اما الفصول فهي : الضحك فن وفلسفة ، العرب والضحك ، مضحكو العرب ، النثر الضاحك .. الضحك في المقامات ، الهجاء الضاحك المضحك ، المداعبات الضاحكة، المجون والضحك، الطفيليون الضاحكون، الضحك مع المغفلين والحمقى، ادبنا الضاحك في عصر الانحطاط ، الضحك في ادبنا الحديث .

يتحدث الكاتب في الفصل الثاني عشر عن نهضة الادب العربي بعد ان ران عليه سبات طويل استسلم فيه الى الخمول والجمود والتاخر في عصور الانحطاط ، وكيف قامت هذه النهضة على اكتاف اللبنانيين الذين هاجروا الى مصر ، امثال زيدان ، وصروف ، وبركات، ومطران ، ونمر ، وتقلا ... وانشاوا صحفا ومجلات فتحت صدرها للادب ، ثم يبين ميل المصريين الى النكتة ، فيقول انهم « اظرف شعوب الارض واكثرهم حبا للنكتة ، وتعلقا بالنادرة ، وتقديرا لاربابها ومن يجيدونها ، ومن اجل ذلك نجحت الصحافة الساخرة في مصر نجاحا بعيدا فأصابت المستعمرين والحكام والسياسيين بسهام لاذعة ، واصلتهم نارا حامية » ومن هذه الصحف : « ابو نظارة » ١٨٧٦ ليعقوب صنوع التي حارب فيها الخديوي اسماعيل ، و « التنكيت والتبكيت » لعبد الله النديم ١٨٨١ ، و « الاستاذ » لعبد الله النديم ايضا ١٨٩٢ ، و « الارغول» للشيخ محمد النجار اواخر القرن الماضي. و « حمارة منيتي » لمحمد توفيق ١٩٠٠ و « خيال الظل » لاحمد حافظ ١٩٠٧ . وبعدها بفترة ظهرت مجلة « السيف » لصاحبيها احمد حسين وعلي واحمد عباس ، ثم « البعكوكة » و « الكشكول » واخيرا « الفكاهة » التي صدرت عن دار الهلال ١٩٢٦ . كما ذكر الدور الذي لعبته كل من هذه المجلات في مجال السياسة والادب السياسي .

لقد احتجبت صحف الفكاهة بعد ثورة ١٩٥٢ واخذ طابع الجد

يسيطر على كل شيء في مصر ، الا ان الشعب المصري ما زال كما هو منذ الاف السنين محبا للنكتة يضحك من اعماقه رغم الاحداث الاليمة التي تمر بالامة العربية . ثم يسرد المؤلف طائفة من أئمة الفكاهة في مصر وعلى راسهم الرباعي المرح الذي كان يتالف من : حافظ ابراهيم، والشيخ عبد العزيز البشري ، وامام العبد ، ومحمد البابلي ، بالاضافة الى اطرف نكاتهم الشائعة ... وهناك مداعبات شوقي والدكتور محجوب ثابت الشعرية . ومن الذين تفكهوا ايضا الدكتور زكي مبارك ومصطفى صادق الرافعي بالرغم من جديتهما ، ومحمود غنيم ، وكامل الشناوي ومحمد مصطفى حمام ، ومحمود بيرم التونسي ، والدكتور ابراهيم ناجي ، وحفني ناصف، ومجدي فهمي ، وعبد الحميد الديب، ووليم باسيلي (طرزان) ويختم هؤلاء بحديث عن المازني الاديب الساخر الضاحك في كل ما كتب .

اما لبنان فلم يكن بلد السحر والجمال والفتنة فحسب ، بل كان ايضا وما يزال بلد الظرف والنكتة وخفة الروح ، فمن ادبائه الذين عنوا بالسخرية احمد فارس الشدياق الذي خصه بصفحات من كتابه ، وطانيوس عبده ، وعبد الرحيم قليلات ، وخليل مطران ، وسليم سركيس وشاكر الخوري ، واسعد رستم زعيم الشعر الهزلي بلا منازع، وعمر فاخوري ، وابو فارس الخازن ... ثم يشير المؤلف الى الصحافة اللبنانية التي عنيت بالنكتة ممثلة « بالدبور والصياد » .

اما عن صحافة العراق الضاحكة واعلامها فيقول : ان قلة المصادر وعزوف الادباء العراقيين عن هذا اللون من الادب وقفا حائلا دون محاولتنا ، الا انه ذكر قصيدة للرصافي واسهب في الكلام عن الشاعر احمد الصافي النجفي الذي ترك موطنه منذ ثلاثين عاما وحل في دمشق، وهو محب بطبعه للنكتة والنادرة ، يضحك لها من اعماقه . ويكتفي الاستاذ العطري بذكر مجلة واحدة في العراق اهتمت بالهزل والسخر هي « قرندل » لصادق الازدي استمرت بالصدور حوالي عشر سنوات.

اما عن سورية فيقول : ان السوري يحب الجد بطبعه ويكره المياعة والهزل ، وهو قلما يعنى بالنكتة ولكنه يتذوقها ويعجب بها ويصفق لقائلها ، ومع ذلك فهناك ادباء وشعراء احبوا السخرية واولعوا بالضحك منهم : الشاعر محمد البزم بالرغم من شدة وقاره ، والاديب التقي المجمعي ، وفائز سلامة « شاعر الصعاليك » ثم المرحوم فخري البارودي ، وما تزال المجالس حتى اليوم تردد صدى اشعاره ونكاته الساخرة ، وقد اشرنا قبلا الى عصبة الساخرين التي تالفت في سورية ، وبرز منها الدكتور عبد السلام العجيلي الذي ابدع في فن المقامات الضاحكة ، ويأسف المؤلف على ترك الاستاذ يوسف احمد المحمود هذا اللون بعد ان كان يغذي « الدنيا » باشعاره الهزلية ، ويختم هذا الفصل الاخير بكلمة عن صحافة سورية الساخرة ممثلة بمجلة « المضحك المبكي » لصاحبها المرحوم حبيب كحالة .

دمشق **عيسى فتوح**

•

أشباح المدينة

مجموعة قصص ـ تاليف رياض نصور ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق

قرات مجموعة القصص الجديدة « اشباح المدينة » للاديب رياض نصور . وكان قد سبق لي ان سمعت قصصه من الاذاعة اللبنانية ، وقرات بعضها في المجلات الادبية الكبرى ، ولكنني وجدت نفسي مستفرقا في استعادتها بسلسلتها المؤلفة من اربع عشرة اقصوصة باهتمام كبير .

أنا أعرف « رياضا » .. واعرف كيف نشأ اديبا .. وكيف احب القصة وبدأ كتابتها . فهو من قصاصينا المبدعين في انتاجهم، الباحثين دائما عن مادة حية ليسكب من نفسه عليها فتصبح قصة تمتع الناس ولا تخرجهم دون غاية او نتيجة ولو كانت هذه المادة صورة بسيطة كل البساطة .

قرات كثيرا من القصص بلغات عديدة .. فوجدت نفسي وأنا اقضي ساعات مع « اشباح المدينة » كانني وجها لوجه مع « جي دو موباسان » عملاق القصة القصيرة في فرنسا ، نفس المتعة ونفس السرد ، الشخصيات ذاتها على الرغم من فارق البيئة .

اربع عشرة اقصوصة .. تنتقل بين اللذة والالم ، بين الجنس والرغبة ، بين القرية والمدينة ، بين الثراء والفقر وتعالج ذلك التفاوت بالاحاسيس والبيئات بنمط ثوري دون ان تواري البشائع التي تظهر باشمئزازها مجسمة كل العيوب التي كنا نعانيها معاناة انهكت كاهلنا وسحقت عظامنا ودمرت ارواحنا .

فالقصة الاولى « قذارة » صورة حية لجيلنا المغبون الضائع وهي في الوقت نفسه صورة نفسية لما يجري سرا في مجتمعنا . فعبارة « تفه يا دنيا » التي يلفظها بطل القصة من حين الى اخر اعجبتني كثيرا لان الدنيا لا تستحق الا تلك « التفاهة » ولو كان في ذلك بعض التشاؤم . فالطفل الذي يرى أمه بين احضان رجل غير أبيه ثم يشب ويترعرع لتكبر معه هذه الصورة .. ماذا يكون رأيه وكيف تكون أمامه قدسية الام ؟؟ .. انها نتيجة حتمية ان تتعقد نفسه ثم يبصق على الدنيا لتفاهتها .

والثانية « نداء الجبل » فهي من حكايات جدتي ومكانها ليس في هذه المجموعة .

اما الثالثة « الشعرات الاخيرة » ففيها الحب ولكنه حب الجسد والحب الموقت حسب تعاريف العصر .. وما الشعيرات الاخيرة التي تقتلها صفاء من رأس حبيبها الا لفتة كبرى على نقمة الجيل الحالي، ذلك الجيل الذي لا يعرف ما يريد ، او بتعبير أصح لا يعرف الطريق

التي توصله الى ما يريد .

وتليها « اكثر من الالم » . قرأتها واعتراني ألم أكيد ، بل وحقد هائل . لقد كان الناس فيما مضى يضحكون على عقول القرويين ويستغلون سذاجتهم استغلالا بشعا ، وهذه الصورة طالما ترددت في مجتمعنا البائد . شاب بكامل شبابه يصبح قعيدا لينتظر زوجه تأتيه بالاكل والدواء .. فينقم على كل شيء .. هكذا حال التمسك بالحياة وهو يائس من ان يحياها .. ثم تذهب الزوجة الى المدينة لتبيع سجادة وتشتري دواء لزوجها فيتلقفها ذئابها وتضيع السجادة في بيت من بيوت الليل وفي متاهة من متاهات المدينة . وبكلمة من احدى المومسات التي تضيع فيه السجادة ، فيها كل الرحمة والنقمة معا « خرج الخنزير من هنا من هذا الباب . » ... هذه الكلمة لا يقولها كثير من الذين يظنون انهم شرفاء قد تجرأ « رياض » وعرضها عرضا نبيلا واقعيا ... لنلمس لمسا مجسما زيف الناس ورياء كثير من الذين يجب ان نزيح عن وجوههم البراقع النتنة لنرى من تحتها وجوها اكثر قبحا من وجه « دوريان جراي » الذي تكدست فوقه الخطايا .

اما القصة الخامسة « طيف أم » ، فلم أر فيها الا نبلا من الادب الاتباعي .. وهنا يضيع رياض دائما بين الواقعية والاتباعية ، وأي شيء يشد القارىء في تضحية أم أمام ولدها لتعلمه وتهذبه ؟.. فهذا طبيعي واكثر من عادي .

و « البحار المتعب » عودة من جديد الى الجنس والضياع .. ولكنها لفتة تعترض بيئتنا .. وتنهش اسرنا بوحشية . ولا أدري على من يقع الذنب دائما : أعلى الرجل أم على المرأة ؟. رب البيت يهرب من بيته الى طرق ملتويات قد تنهكه اكثر من البيت ، ولكنه يجد لنفسه العذر .. والمرأة تحاول دائما ان تتمسك بزوجها فتفقده بأنانيتها وغيرتها وشدة تمسكها ويتيه الاثنان في بحر صاخب لا قرار له .. ثم لا يلبث ان يعود احدهما الى بر الامان ، او يقنع نفسه انه على هذا البر . ولنر بعد ذلك يا رياض ما تخبئه لنا ، لقد ضعنا نحن ايضا في متاهاتك وداخت عقولنا . افلا يحق لسفينتنا ان ترسو على شاطيء مستقر ؟ ...

ها هي « السحابة البيضاء » تظللنا ونشعر بالخشوع لذلك الاب المثالي بطل هذه القصة . منذ هنيهة أطلت علينا « أم » بطيفها الهفهاف الجميل فتضحي . ولكن الاب هنا ينبذ الانانية ويغفر للمخطىء بل ويعامله بالحسنى ويبذل له العون ، وكأنني استعيد بذاكرتي قصة المسيح والمجدلية بما فيها الخطيئة والغفران الاب لا يرجم صديق ابنه الذي كاد ان يحبسه ، ولكنه يرغم ابنه على تحمل الاذى لينقذ صديقه من ورطته . حقا ليس كل الآباء مثل هذا الاب لقد أحببت هذه السحابة البيضاء النقية ووددت لو يدوم فيئها ..

ولكن السحب تمر وتنقشع ولا تخلف الا الدموع ... وينقض «الذئب» بعد تلك السحابة . أرأيت الى هذا التتالي الذي يصدم الاعصاب ويرهق الاحاسيس المرهفة ؟..

فوجئت وأنا أقرأ هذه القصة بصدمات عنيفة هزتني ، لا لكونها بشعة ، ولكن لما فيها من صرامة الوضوح والصراحة . فالادب الحي يفرض نفسه ، ويعم تأثيره ، والعقبات امامه لا تعيق تقدمه ومسيرته. ان هذه القصة تجسد الظلم والسرقة والرشوة والخداع والتعالي والاستغلال والانحطاط . وأي قيمة للانسان امام هذه البشائع .

والقصة التاسعة « هروب » ترجع بنا الى الجنس . لله درك يا رياض .. هذا الجيل لا مفر له من الجنس .. يدور ويدور .. يعمل ويتعب .. ثم الى الجنس يعود . لقد كون الانسان في احسن تكوين واحسن ما فيه حسه .. وهذا ليس « هروب » من الواقع ، بل « لجوء » اليه ، ولذا أعيب تسمية هذه القصة « هروب » .

ونعود مرة اخرى الى الواقع في « نداء الكوخ » ، ليرتسم امامنا الماضي البغيض ، ماضي السيطرة والاقطاع حيث كان الفلاح عبدا ، فيعطينا المؤلف صورة حية ضخمة ممثلة في عجوز عاشت حياتها مع التراب والزرع فكم غرست وانبتت ، وهي هي في كوخها .. ثم تكافأ بطردها من ذلك الكوخ .

وفي قصة « خمس ليرات » وصمة أخرى لايامنا المخيفة التي كان فيها الفرد تافها كل التفاهة ، فلا الثقافة تجديه نفعا ، ولا النشاط والجد في العمل يؤمنان له مستقبلا او استقرارا .. لقد كان دائما ضائعا حقيرا ، وغيره من التافهين لهم وحدهم متعة الحياة وانمانها ، يعيشون فوق البشر في البذخ والبحبوحة . هذه الصورة تكاد تصبح اثرا من اثار مجتمعنا الحالي الذي بني على مثل تلك القصة .

ولقد نجح الكاتب في « البائعة العجوز » في تصوير المدينة تصويرا دقيقا عندما أتى بالعجوز لتبيع الصبير وتشتري بثمنه دواء لحفيدها حسين ، ولكنها تجد المدينة معفرة بالخيانة والغدر ، فهي عديمة الامانة ، تجعل من البريء مجرما ومن الحكيم مجنونا. انها المدنية حقا .. وما اكثر ما فيها من متناقضات وهدر للقيم ، على النقيض تماما من القرية وبيئتها البكر .

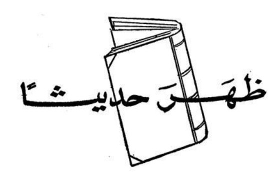
وفي قصة « مات الرجاء » عرض رياض ، كيف كانت الشهادات عملة لا تصرف .. لقد كان الفقير والفلاح والعامل يبيع ما فوقه وما تحته ليعلم اولاده ، ولكنه يجد اخيرا ان بطاقة صغيرة قيمتها تفوق بكثير قيمة اعلى الشهادات ، فيبكي على ما باعه .. ويندم الاولاد على سهر الليالي التي لم يجنوا من ورائها سوى وريقة تافهة لا قيمة لها.

واخيرا تطل علينا « اشباح المدينة » فهي تتمة لقصة « البائعة العجوز » حيث لا هوادة مع المدينة .. لقد كانت في حرب دائمة مع الساذجين . حتى الاولاد .. وحتى رجال الامن لم يفتهم الاضرار بأي قادم اليها من الريف ... لقد كان الظلم يصرخ ويستغيث ، ولكن صراخه لم يكن له حتى صدى ..

هذه عجالة عن المجموعة القصصية « اشباح المدينة » لرياض نصور ، التي كتبت بأسلوب بسيط ينبض بالحياة .. لا تصنع فيه ولا رياء .. ليس فيه ضياع الكلمة او الجملة كما يضيعها بعض كتابنا اليوم اقتداء بكتاب الغرب وشتان بين لغتنا الفنية الجميلة واللغات الاجنبية الاخرى واساليبها . انك تقرأ لغة سليمة قبل كل شيء بنهج العصر دون ان تتعثر بكلمة أنت بحاجة للبحث عنها في المعاجم ولا بعبارة متدنية ترغمك على الاحتقار والتشنيع .

اعود فاقول : ان هذه القصص الاربع عشرة ممتعة بجملتها ولو انني كنت اوثر ان تكون ذات تسلسل موضوعي واحد متماسكة الحبكة ... متجانسة الوحدة . لقد ولد في بلدي كاتب قصصي كنا بحاجة الى مثله وكل ما ارجوه ان يثابر ليعطي مجتمعه كل ما عنده وما اجمل عطاء سخيا فيه نفحات من انفسنا ونفثات من ارواحنا ..

اللاذقية — **محمد شيخ ديب**



- الفارس الضائع ـ مسرحية شعرية ـ تاليف سليمان العيسى ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .
- معايير الفكر العلمي ـ تاليف جان فوراستيه ـ ترجمة فايز كم نقش ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .
- لمحات من النقد الادبي الحديث ـ تاليف محمد الحسن فضل المولى ـ تقديم الدكتور عبد المجيد عابدين ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت والشركة السودانية للتوزيع بالخرطوم ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- اساطير عربية من قلب جزيرة العرب ـ تاليف عبد الكريم الجهيمان ـ المجموعة الثالثة ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .
- معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠/١٩٦٩ ـ تاليف كوركيس عواد ـ المجلد الاول ـ ٤٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة الارشاد ببغداد .
- مشاركة العراق في نشر التراث العربي ـ تاليف كوركيس عواد ـ ٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد .
- اشباح المدينة ـ مجموعة قصص ـ تاليف رياض نصور ـ الغلاف للفنان رضا حسحس ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- اجراس اليوم الثالث ـ شعر ـ اديب صعب ـ الطبعة الثانية ـ الغلاف بريشة وهيب بتديني ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة النجوى ببيروت .
- اصوات سريانية معاصرة ـ تاليف الاب يوسف سعيد ـ ٨٠صفحة ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .
- حياة الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد والبصرة ـ تاليف الاب يوسف سعيد ـ تقديم امين نخلة ـ الغلاف بريشة زكريا كايا ـ ١٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الامان بدرعون لبنان.
- اغاني عشتار ـ مجموعة شعرية ـ لميعة عباس عمارة ـ ١٢٨ صفحة ـ المؤسسة التجارية للطباعة والنشر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)
- تاريخ بيروت ـ وهو اخبار السلف من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت ـ تاليف صالح بن يحيى ـ اشرف على تحقيقه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي ـ ٢٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .
- بين التاريخ والاثار ـ تاليف عبد القدوس الانصاري ـ ٣٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .
- اربعة ايام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ـ تاليف عبد القدوس الانصاري ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- دكان التوابيت ـ مجموعة قصص ـ تاليف جاسم الناصر ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .
- الزوادة ـ شعر عامي لبناني ـ عجاج المهتار ـ الخطوط بريشة بهيج عنداري ـ ١٩٢ صفحة ـ مطابع سليم جمال الدين (؟) .
- الماء في حياتنا وتراثنا ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ القسم الاول ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٥ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ صدر في دير الزور بسورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- مشاهير الفكر الاحيائي ـ تاليف عادل محمد علي الشيخ حسين ـ تقديم عبد الكريم توفيق العافص ـ ٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الناصرية بالناصرية العراق .
- كتاب التنبيه على حدوث التصحيف ـ تاليف حمزة بن الحسن الاصفهاني (٢٨٠/٣٦٠ هـ) حققه محمد اسعد طلس ـ راجعه اسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق .
- دنيا على الشام ـ مجموعة شعرية ـ سليم الزركلي ـ ٣٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .
- رجل غير معترف به ـ مجموعة قصص ـ تاليف اسماعيل علي اسماعيل ـ الغلاف للفنان محمد علي اسماعيل ـ ١١٢ صفحة ـ المطبعة القانونية بالقاهرة .
- الجذوة والريح ـ مجموعة قصص ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ الغلاف للفنان حميد ياسين ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات مكتب الرصافي ببغداد ـ مطابع دار الجاحظ ببغداد .
- وساطة الى فتح ـ مجموعة شعرية ـ ميخائيل ابو عقدة ـ الغلاف للفنان ميلاد الشايب ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة الفرات بدير الزور سورية .
- عدنان مضاع ـ مجموعة قصص ـ تاليف فهد الاسدي ـ ١١٦ صفحة ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره ـ منشورات دار الكلمة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .
- مسائل ادبية ـ تاليف يوسف نمر ذياب ـ ٨٠ صفحة ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .
- مهرجان تحت الشمس ـ شعر باللغة العامية اللبنانية ـ راجي عشقوتي ـ ٩٦ صفحة ـ دار صادر ـ (طبع في بيروت ولم يذكر اسم المطبعة) .
- الكأس الاخيرة ـ تاليف ابراهيم المصري ـ الغلاف بريشة مصطفى حسين ـ الرسوم الداخلية بريشة سعيد عارف ـ ١٣٦ صفحة ـ سلسلة كتاب اليوم ـ مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .
- شظايا حزيران ـ مجموعة شعرية ـ جورج صيدح ـ ٣٢ صفحة ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .
- مأساة الانسان ـ للشاعر المجري ايمري موداتش ـ ترجمها عن الانجليزية عيسى الناعوري ـ ٢٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع دار الابجدية ببيروت .
- اوراق ريفية ـ تاليف حسيب عبد الساتر ـ ١٢٠ صفحة ـ (طبع في بيروت ولم يذكر اسم المطبعة) .
- المدار يحترق ـ مجموعة شعرية ـ عبد الامير جعفر ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد .